REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع	رقم الإيداع بدار الكتب
2401-1687	99/9440
الترقيم الألكتروني	الترقيم الدولي
3354-2735	977-5366-11-9

لنشر الأبحاث بالمجلة
يرجى الإرسال من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة
https://jejh.journals.ekb.eg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصْدرهُا

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

المجلد الخامس والخمسون

القاهرة

٢٠٢١م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الهَيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونِس)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتـويات

الصفحة

طرق التخلص من المعارضين في العصر العباسي
شيماء أحمد السيد علي صالح ٧-٣٩

صَاعِدُ الأنْدَلُسِي ومنهجه في كتابه «طَبَقَات الأُمَم»
طارق أبو الوفا محمد ٤١-٩٢

صراع الغزنويين والسامانيين أثناء عملية تأسيس الدولة الغزنوية
Assoc. Prof. Dr. Izzetullah Zeki ٩٣-١٢٧

أثر ابن شحاذة اليمني القاهري المُقرئ في الحياة العلمية بمصر والحجاز
إبراهيم عبدالمنعم سلامة أبو العلا ١٢٩-١٧٢

العلَّامة أحمد بن العجمي الأزهريُّ ودوره في تمحيص آثار الأقدام
المنسوبة للنبيِّ ﷺ
أحمد عبدالعاطي حسن عمر الآثاريّ ١٧٣-٢١٠

الأهمية اللوجستية لمصادر المياه العذبة في سيناء أثناء الحرب العالمية الأولى
أماني صلاح الدين سليمان ٢١١-٢٤٨

الشيخ عبد العزيز الثعالبي والنخبة السياسية والفكرية في مصر
(١٩٢٤ - ١٩٣١م) «صحيفه الشورى نموذجًا»
أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ٢٤٩-٢٨٨

موقف مصر من العراق بعد تكوين حلف بغداد ١٩٥٥-١٩٥٨م
(قراءة فى أرشيف الخارجية البريطانية)
أحمد عبد الدايم محمد حسين ٢٨٩-٣٤٩

الصفحة

حقوق مصر التاريخية في مياه النيل – دراسة وثائقية !
المُستشارة/ هايدي فاروق عبد الحميد ٣٥١-٣٨٥

القَاهِرَةُ في كِتَابَاتِ المُسْتَشْرِقِين
أيمن فؤاد سَيِّد ٣٨٧-٤٠٥

«التجار الفرنسيون في مصر في العصر العثماني»
حمادة جمال ناجي عرفان ٤٠٧-٤٢٥

أثر تطور وسائل النقل والمواصلات على شوارع القاهرة فى عهد أسرة محمد على
شيماء عبد الفتاح محمد الجرم ٤٢٧-٤٨٦

ضاحية مصر الجديدة أنموذج فريد للتنوع والتجانس الاجتماعي
علي عبد العزيز سليمان ٤٨٧-٥٠٨

Copper Extraction in the Timna mine. An Archaeological and Historical Study.
Mohamed Mahmoud Kacem 5-39

المجلة التاريخية المصرية ٥٥ (٢٠٢١) ٢٨٩-٣٤٩

موقف مصر من العراق بعد تكوين حلف بغداد ١٩٥٥-١٩٥٨م (قراءة فى أرشيف الخارجية البريطانية)

أحمد عبد الدايم محمد حسين(*)

ملخص

تباينت مواقف كل من مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط فى بداية خمسينيات القرن العشرين تباينًا كاملًا. فاقترب العراق، برعاية بريطانية، من المشروعات الدفاعية التى عرضت عليه فى تلك الفترة، فى حين ابتعدت مصر عنها بشكل واضح وصريح. غير أن الطريق الذى انتهجه العراق انتهى به إلى تكوين حلف بغداد سنة ١٩٥٥. لكن حينما برز هذا الحلف للوجود حرصت الإدارة المصرية على محاصرته فى كل البلدان العربية. فاشتعلت معركة علنية بين مصر والعراق طيلة الفترة من ١٩٥٥ وحتى سقوطه سنة ١٩٥٨، وقع فيها الملك فيصل الثانى، ملك العراق، ونورى السعيد رئيس الحكومة، والدكتور فاضل الجمالى وزير الخارجية، فى مرمى السهام المصرية. وتمت محاصرتهم فى كل الأماكن التى يستهدفونها. ومع أن الأرشيف المصرى قد رصد هذه المعركة رصدًا دقيقًا، إلا أن متابعة الأرشيف البريطانى لها كانت مختلفة ومميزة جدًا. خاصة وأن بريطانيا هى الراعية لهذا الحلف،

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة.

بتوكيل من الولايات المتحدة الامريكية وحلف الاطلنطى. فالناظر للمتابعات البريطانية للموقف المصرى من العراق بعد تكوين حلف بغداد حتى سقوطه سنة ١٩٥٨، سيجد الكثير من التفاصيل التى غابت عن دراستنا العربية. وفى هذا الإطار تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسية:

المحور الأول: تباين موقف مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط.

المحور الثانى: تكوين حلف بغداد.

المحور الثالث: الدعاية المصرية ضد العراق وتكوين حلف بغداد.

المحور الرابع: إختلاف المواقف المصرية من العراق بعد العدوان الثلاثى.

المحور الخامس: أثر الموقف المصرى فى قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وسقوط حلف بغداد.

*
* *

تباينت مواقف كل من مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط فى بداية خمسينيات القرن العشرين تباينًا كاملًا. فاقترب العراق، برعاية بريطانية، من المشروعات الدفاعية التى عرضت عليه فى تلك الفترة، فى حين ابتعدت مصر عنها بشكل واضح وصريح. غير أن الطريق الذى انتهجه العراق انتهى به إلى تكوين حلف بغداد سنة ١٩٥٥. لكن حينما برز هذا الحلف للوجود حرصت الإدارة المصرية على محاصرته فى كل البلدان العربية. فاشتعلت معركة علنية بين مصر والعراق طيلة الفترة من ١٩٥٥ وحتى سقوطه سنة ١٩٥٨، وقع فيها الملك فيصل الثانى، ملك العراق، ونورى السعيد رئيس الحكومة، والدكتور فاضل الجمالى وزير الخارجية، فى مرمى

السهام المصرية. وتمت محاصرتهم فى كل الأماكن التى يستهدفونها. ومع أن الأرشيف المصرى قد رصد هذه المعركة رصدًا دقيقًا، إلا أن متابعة الأرشيف البريطانى لها كانت مختلفة ومميزة جدًا. خاصة وأن بريطانيا هى الراعية لهذا الحلف، بتوكيل من الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الأطلنطى. فالناظر للمتابعات البريطانية للموقف المصرى من العراق بعد تكوين حلف بغداد حتى سقوطه سنة ١٩٥٨، سيجد الكثير من التفاصيل التى غابت عن دراستنا العربية.

من هنا، فإن الجديد الذى تقدمه الدراسة هو اعتمادها بشكل أساسى على وثائق الخارجية البريطانية، سواء ملفات الشرق الأوسط، أو محافظ العراق، أو الملفات الخاصة بمصر، لدراسة الموقف المصرى من العراق خلال تلك الفترة. لترصد تلك المعركة الخفية والعلنية بين الطرفين، وتتابع تجليات الحرب الدعائية المصرية ضد العراق، مفرقًة بين النظام السياسى الذى يحكمه، والشعب العراقى. وترصد ردود الفعل العراقية الرسمية والشعبية حول هذا الأمر. فما كان يهم بريطانيا فى المقام الأول هو الحفاظ على مصالحها الاقتصادية فى المنطقة، ورعاية حلف بغداد من الانهيار. وبالتالى بذلت كل جهد فى رصد كل المنغصات التى تعترض تلك المصالح وتقف ضد الحلف. وفى هذا الإطار تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسية:

المحور الأول: تباين موقف مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط.

المحور الثانى: تكوين حلف بغداد.

المحور الثالث: الدعاية المصرية ضد العراق وتكوين حلف بغداد.

المحور الرابع: إختلاف المواقف المصرية من العراق بعد العدوان الثلاثى.

المحور الخامس: أثر الموقف المصرى فى قيام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وسقوط حلف بغداد.

المحور الأول: تباين موقف مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط

استمرت العلاقات المصرية العراقية تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ، حيث استمرت قائمة عبر العصور على جميع المسارات، وممتدة فى مختلف المجالات. بل حظيت باهتمام كبير وعميق من جانب الكثيرين، حيث كانت محورًا لدراسات عديدة. لكننا فى هذه الدراسة لا يمكننا التطرق لاستعراضها، كون المساحة والموضوع لا يسمحان بإلقاء الضوء عليها. لذا فإننا سنركز على الموقف المصرى من العراق بعد تكوين حلف بغداد، وفى الفترة من ١٩٥٥ وحتى سقوطه سنة ١٩٥٨. وقبل الدخول لموضوع الدراسة سنمهد لها باستعراض موقف الدولتين من مشروعات الأحلاف الدفاعية قبل سنة ١٩٥٥.

وبطبيعة الحال لا يمكننا تتبع موقف مصر والعراق من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط إلا بفهم العلاقة البريطانية مع العراق فهمًا جيدًا. حيث بدأ الاحتلال البريطاني للعراق في أواخر سنة ١٩١٤، فدان لها بالولاء تمامًا مع نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، لكنه لم يصدر صك الانتداب البريطاني على العراق إلا في ١٧ يونيو سنة ١٩٢٠[١]. وبعد قمع ثورة العشرين، وانعقاد مؤتمر القاهرة في ١٢ مارس ١٩٢١ برئاسة وزير المستعمرات تشرشل، وحضور وفد من العراق، تم ترشيح الأمير فيصل بن الحسين[٢] باعتباره أنسب حاكم له[٣]. وتم تتويجه رسميًا فى ٢٣ أغسطس ١٩٢١ على أن تكون ملكيته دستورية نيابية[٤].

---

(١) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز، فيشون ميديا – السويد، ٢٠٠٦، صص١٤-١٦، ١٩.

(٢) تولى الملك فيصل الأول كملك على العراق سنة ١٩٢١ ثم جاء من بعده الملك غازي ، ثم تولى عبد الإله بعد مقتل الملك غازي كوصى على العرش، إلى أن تولى الملك فيصل الثانى، وبقى ملكا على العراق حتى سقطت الملكية سنة ١٩٥٨.

(٣) علياء محمد حسين: الخلاف بين الملك فيصل الأول والإنكليز حول السياسة في العراق؟، مجلة كلية الآداب، العدد ٩٥، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ص٣٦.

(٤) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز. المرجع السابق، ص٢٦، ٢٨.

وتجدر الإشارة إلى أن بريطانيا حاولت بعد تأسيس الدولة العراقية، وتتويج الملك فيصل الأول، الانفراد بالعراق وإبعاده عن أي نفوذ سياسي أجنبي عنه، وعلى نحو خاص فرنسا[١]. بعدها تقرر إدخاله فى عصبة الأمم، وإنهاء الانتداب البريطاني عليه، بشرط التزام الحكومة العراقية بعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا. وعليه فقد بادر رئيس الوزراء نوري السعيد[٢] إلى بدء المفاوضات العراقية البريطانية في ٣١ مارس ١٩٣٠، إلى أن عقدت المعاهدة رسميا فى يوم ٨ إبريل ١٩٣٠[٣]. لكن بعد وفاة الملك فيصل الأول في ٧ سبتمبر عام ١٩٣٣، وتولي نجله الملك غازي استمرت العلاقة على حالها[٤]، إلى أن شهدت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية لبروز الحرب الباردة. فبدأت تتحدد مناطق النفوذ بمناطق العمليات العسكرية. ومع اشتداد تلك الحرب، بلجوء الاتحاد السوفيتى إلى فرض أيديولوجيته الشيوعية على دول شرق أوروبا، ووقوف الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب دول غرب أوروبا[٥]، وصلنا إلى نقطة فارقة فى

---

(١) علي عبد الواحد الصائغ: العلاقات الدبلوماسية للعراق مع الجمهورية الفرنسية (١٩٢١-١٩٣٩)، مجلة القادسية فى الآداب والعلوم التربوية، العددان ٣، ٤، المجلد ٦، جامعة القادسية، العراق، ٢٠٠٧، ص١٧٩.

(٢) ولد نوري السعيد عام ١٨٨٨م في بغداد من عائلة متوسطة، وهو من الطائفة السنية، درس في الأكادمية العسكرية في اسطنبول، وتخرج برتبة ملازم في الجيش العثماني، كما درس في كلية الأركان وتخرج منها، وانضم إلى مجموعة الضباط الذين التحقوا بالثورة العربية ضد الحكم العثماني بزعامة الملك حسين بن علي ملك الحجاز عام ١٩١٦، كما انضم إلى الملك فيصل الأول عندما تولى عرش سوريا. لكن القوات الفرنسية أسقطت نظام حكم الملك فيصل وطردته من سوريا، وقرر البريطانيون فيما بعد تنصيبه ملكًا على العراق. وكانت لنوري السعيد حصة الأسد في قيادة العراق حيث شكل أربعة عشر وزارة خلال الحقبة الملكية التي دامت ٣٧ عامًا. للمزيد انظر، حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. رجل المهمات البريطانية الكبرى، دار فيشنوميديا كرونبري للطباعة والنشر، ص ١٢.

(٣) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز. المرجع السابق، ص٤٧، ٤٨.

(٤) علي عبد الواحد الصائغ: المرجع السابق، ص١٨٠.

(٥) سيد محمد عبد العال: الموقف السوفيتي من مشروع أيزنهاور ١٩٥٧-١٩٥٨، العدد الثامن عشر من مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي، ص١٧٥.

تحديد المعسكرات وبناء التحالفات. وفى هذا الإطار لم تسلم منطقة فى العالم لمحاولات الاستقطاب من كلا المعسكرين، الغربى والشرقى. وكان استكمال الثغرة التى نتجت على أثر تأسيس حلف الناتو فى نهاية الأربعينيات، أن دخلت مصر والعراق فى هذا الاستقطاب لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط. فعندما تأسس حلف الأطلسى لمقاومة النفوذ السوفيتى، وكانت نصوصه لا تقضى بتقديم المساعدة لأعضائه خارج أوروبا، لذا نُظر إلى منطقة الشرق الأوسط باعتبارها واحدة من المناطق التى تستكمل هذا النقص(١).

وبدت موافقة العراق على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط جلية واضحة. ففى مذكرة الشئون العربية فى ٤ مايو ١٩٤٩ اعتبر بيان وزير الدفاع العراقى أن الدفاع عن الشرق الأوسط لابد وأن تشترك فيه الدول العربية. مشيرًا بأن تركيا أصبحت خط الدفاع الأول عن الشرق الأوسط، وأنه لا مفر من إقامة خط ثانى من البلاد العربية المتحالفة مع بريطانيا. حيث اقترح إيجاد هيئة أركان حرب مشتركة من البلاد العربية وبريطانيا، تعمل على تنسيق الدفاع ووضع الخطط(٢). وإذا كان العراق قد دخل فعليا فى منظومة الدفاع عن الشرق الأوسط إلا أن عرضه على الدول العربية، وعلى رأسها مصر، لدخول هذه المنظومة اقتصر على الطلب فقط. ولهذا أدخلت بريطانيا طرفا آخر ليعرض على الإدارة المصرية هذا الموضوع. حيث تشير مذكرة الإدارة السياسية لقسم بريطانيا وأمريكا بوزارة الخارجية المصرية فى ١٤ فبراير ١٩٤٩ بالاقتراح المقدم لمصر من قبل الهند بشأن تكوين اتفاقيات مشتركة بين الأمم الأسيوية، وأنه بدلًا من تكوين كتلة أسيوية عامة، فلابد من تكوين عدة كتل منفصلة، على رأسها إطار يتكون من

---

(١) أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى أفريقيا ١٩٥١-١٩٥٨، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٢٦.

(٢) مذكرة الشئون العربية فى ٤ مايو ١٩٤٩ حول ملاحظات على بيان وزير الخارجية العراقى، ملف ٤، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٣، مشروع اتفاقيات مشتركة بين بعض الدول الآسيوية والدول العربية، محفظة رقم ٢٤٣ (رقم ٢٤٢ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص٢، ٣.

مصر وإثيوبيا وسوريا ولبنان واليمن والعراق وإيران والحجاز وأفغانستان ونيبال وباكستان والهند، وطلبت معرفة رأى الحكومة المصرية قبل أول مارس ١٩٤٩. ولما كان من الصعب السير فى سياسة أسيوية تتزعمها الهند، كى لا يكون انضمامها إضعافا لكيانها الدولى، كان الرأى وجوب معرفة خباياها عن طريق سفارة مصر بالهند(١). ويبدو أن موافقة العراق على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط كان شفويا، حيث تخبرنا إحدى الوثائق المصرية بتاريخ فبراير ١٩٥٠، بأن فشل بريطانيا فى عقد أى تحالفات مع مصر والعراق، وخروجها من فلسطين، وجلائها من بعض المناطق، قد أحدث ثغرة فى الدفاع. لذا رغبت فى عمل تكتل يكفل أمنًا جماعيًا. حيث دعمت بريطانيا مشروع إسلامستان ممثلًا فى قيام وحدة اقتصادية بين باكستان والدول العربية والإسلامية. حيث دعمت بريطانيا هذا المشروع لرغبتها فى تكوين أى تكتل يقف ضد السوفيت، ويوفر عليها انتقاد وقوفها بجانب الهند(٢).

وفى هذا الإطار تكشف لنا محادثة بين أحد الوزراء البريطانيين ووزير الشؤون الخارجية التركى في ستراسبورغ فى ١٥ أبريل ١٩٥٠ حول الشرق الأوسط، بأن الحوار دار حول ما إذا كانت هناك فرصة لمناقشة المسائل مع النحاس باشا منذ توليه منصب رئاسة الوزراء، والشعور بالقلق حول الموقف في مصر. فالحكومة المصرية ليس لديها الرغبة في استمرار الاحتلال العسكري بالمعنى القديم، ولكن لم يكن هناك مهرب من حقيقة أن منطقة القناة كانت حيوية للدفاع عن الشرق الأوسط، ولابد من

---

(١) مذكر الإدارة السياسية لقسم بريطانيا وأمريكا بوزارة الخارجية المصرية فى ١٤ فبراير ١٩٤٩ بشأن ما تقترحه حكومة الهند من انضمام مصر إلى الاتفاقيات المشتركة المزمع تكوينها بين الأمم الآسيوية، ملف ٤، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٣، مشروع اتفاقيات مشتركة بين بعض الدول الآسيوية والدول العربية، محفظة رقم ٢٤٣ (رقم ٢٤٢ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص١، ٢.

(٢) مذكر الإدارة الاقتصادية فى فبراير ١٩٥٠ بشان مشروع إسلامستان للتكتل الاقتصادى، ملف ١، رقم ٤٥/ ٤/ ١٣، مسائل اقتصادية الكتلة الإسلامية إسلامستان، محفظة رقم ٢٦٥، أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص ١، ٢.

وجود تفاهم حول المسألة. وكان هناك رضاء بريطانى حول موقف ممثلي الكومنولث في مؤتمر كولومبو نحو الشرق الشرق الأوسط. حيث قرر بأن تنهمك بريطانيا بعمليات سلاح الجو وتقدم المشورة الفنية للسوريين شريطة أن يقوموا ببناء مطارات على نفقتهم، ويستعدوا لاستقبال زيارات من RAF. وفى هذا الإطار تشير الوثيقة بأن تركيا كانت ترغب فى استمرار الوجود البريطانى في مصر وفى شمال أفريقيا. لكنها تقطع بأن مصر كانت واحدة من الصعوبات في هذا المجال، لهذا اتفق الطرفان، التركى والبريطانى، على أن يعملا سويا على جذب مصر لهذا الأمر، وإبعادها عن الدول العربية(١).

ومن المؤكد أن التحركات المصرية ضد بريطانيا، وضد مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط، قد جعلت العراق يعيد النظر فى علاقته معها أيضا. حيث تشير إحدى وثائق الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٥٠ بأن هناك رغبة عراقية فى تعديل معاهدة سنة ١٩٣٠، وأن هذه الرغبة مستمدة من مشاعر عدم رضا المصريين على معاهدة ١٩٣٦، وأن العلاقة مع بريطانيا يجب أن تستند على المبادئ التي لا تؤثر على سيادة العراق ودينها وكرامتها الوطنية. وأنه لا يجوز للأجنبي الاحتفاظ بقواعد عسكرية في أراضي العراق في وقت السلم، وأن التعاون مع الأشقاء المصريين في ضوء هذه المبادئ للتوصل لحل تلك المسألة هو أمر حيوى جدا(٢). ومع ذلك فإن ما تشير به وثيقة أخرى بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٥٠ بأن التضامن مع مصر في طلبها لتنقيح معاهدة ١٩٣٦؛ ما هو إلا للاستهلاك الداخلي فقط. مشيرةً بأن الموقف المصرى غير المهادن للمستعمر البريطانى كان نموذجا يقتديه العراق الرسمى أحيانا للسيطرة على

---

(1) F.O.487-4, Further Correspondence Respecting Middle East(General), Part 4. January to December 1950, No.2, Conversation between the Secretary of State and the Turkish Foreign Minister about the defence of the Middle East, Part II. Middle East, Present: Mr. Bevin. M. Sadak.Mr. Barclay, pp.3, 4.

(2) F.O.481-4, (18434): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 4January to December 1950, No. 15, (1) Nuri Pasha's views on the 1930 Portsmouth Treaty, Sir H. Mack to Mr. Bevin. Received 28 November (Bagdad, Telegraphic) 28 November, 1950., p.23.

الشارع العراقى المحلى. وأن خشية نوري السعيد من هجوم الصحافة عليه، هو الذى جعله يصمم كلامه عن تغيير معاهدة ١٩٣٠ للاستهلاك الداخلي. لهذا تختم الوثيقة حديثها بنصيحة الإدارة البريطانية «بأنه لابد من إحداث تغيير فى الموقف المصرى من الدفاع عن الشرق الأوسط»[١]. وعلى هذا يتضح لنا أمرين: الأول، أن الموقف المصرى الرافض للمشروع كان بإمكانه أن يتمدد وينتشر بصورة طبيعية لولا التحركات البريطانية التالية. الثانى، أن الموقف المصرى لم يرتبط بثورة يوليو ١٩٥٢، بل كانت خشية العراق من مصر موجودة وقائمة قبل وقوعها. وهذا ما يدلل على تبنى النظام العراقى للموقف المصرى أحيانا للاستهلاك المحلى.

وأحسب أن التطورات التى لحقت بالمشروع سنة ١٩٥١ وجهت هدفها نحو دفع الخطر الشيوعي عن منطقة الشرق الأوسط من خلال إنشاء حلف «الحزام الشمالي» من الدول التى تقع جنوب الاتحاد السوفيتى مباشرة، وهى باكستان وإيران والعراق وتركيا. وكان الأمر يتطلب إنشاء قيادة متحالفة بالمنطقة تشترك فيها الدول القادرة على الدفاع عنها. لهذا قدمت الرباعية، والتى تتكون من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وتركيا، مقترحاتها لمصر فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١م، للدخول فى هذا المشروع. غير أن رفض مجلس الوزراء المصري بجلسته المعقودة في ١٤ أكتوبر ١٩٥١م لتلك المقترحات[٢]، قد أبطل التحركات البريطانية وأفشلها. وفى هذا الإطار تخبرنا رسالة ستيفنسون إلى موريسون تحت عنوان «مصر ونظام الدفاع عن الشرق الأوسط»، فى١٥ أكتوبر ١٩٥١، بلقاء تم بينه وبين وزير الشؤون الخارجية المصرى يوم السبت ١٣ أكتوبر، أبلغه فيه أن الحكومة الملكية المصرية لا يمكنها النظر في مقترحات الرباعية لثلاثة

---

(1) F.O.481-4 (18434): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 4, January to December 1950, No. 15, (2) Solidarity with Egypt in its demand for revision of the 1936 Treaty; His Majesty's Ambassador's comment that the speech was designed for internal Consumption, Sir H. Mack to Mr. Bevin. Received 29 November (Bagdad, Telegraphic) 29 November, 1950., p.24.

(٢) سيد محمد عبد العال: المرجع السابق، صص ١٧٧-١٨٠.

أسباب: أولها، بقاء القوات البريطانية تحتل مصر والسودان. ثانيها، أن المقترحات المذكورة تختلف من حيث المضمون عن المقترحات التي عرضتها حكومة المملكة المتحدة على الحكومة المصرية فى ١١ أبريل، و٨ يونيو ١٩٥١، ورفضتها الحكومة المصرية حينها جملة وتفصيلا. ثالثها، أنه ينبغى على بريطانيا ومصر إبلاغ واشنطن وأنقرة وباريس بهذا الأمر في أقرب وقت ممكن(١). ويبدو أن الرفض المصرى المتتالى للمشروع قد جعل إحدى الوثائق البريطانية تشير فى أواخر مايو ستة ١٩٥١ بأن علامات التوتر الكامن بين مصر والعراق تظهر بشكل واضح. وأن ملامح التوتر الخفي والعلنى يتضح جيدًا فى انقسامهما حول تقديم المساعدات العسكرية لسوريا(٢).

وحينما أعلن فى أغسطس عام ١٩٥٢م عن مشروع جديد تحت اسم «منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط»، والذى انتظمت فيه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وتركيا، بالإضافة إلى استراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا، وجعلت جزيرة رودس مقرًا لقيادته، رفضت الإدارة المصرية الانضمام إليه إلا بعد جلاء بريطانيا عن قاعدة السويس(٣). وبطبيعة الحال فإن هذا الرفض المستمر جعل إحدى الوثائق البريطانية تشير بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٥٣ تحت عنوان «قرار حكومة الولايات المتحدة بإقامة مهمة تدريبية في إثيوبيا»، بأن هذا القرار قد أوجد اهتمامًا كبيرًا. فحين فشلت بريطانيا مع مصر فى الشرق الأوسط، راحت ترصد التحركات الأمريكية فى الحصول على تسهيلات مستمرة في راديو مارينا، بشرط تدريب القوات الإثيوبية. وتؤكد على أن إثيوبيا تحاول أن تحل محل مصر، وتعلن عن رغبتها في الانضمام إلى أي

---

(1) F.O. 407-230: Further Correspondence Respecting, Egypt, Part 5, January to December 1951, Secret, No. 35, Egypt and the Middle East defence system, Sir R. Stevenson to Mr. Morrison. (Received 15th October) (No. 744) Alexandria, (Telegraphic) 15th October, 1951. Cairo telegram No. 113. pp.80, 81.

(2) F.O.487-5, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 5, January to December 1951, NO.10, 14th Session of the Arab League Council, Mr. Montagu-Pollock to Mr. Morrison. Received 26th May (No. 78) Damascus. 22 nd May, 1951 pp.12, 13.

(٣) سيد محمد عبد العال: المرجع السابق، ص١٩١.

منظمة تنشأ للدفاع عن الشرق الأوسط، رغم وقوعها خارج منطقة الشرق الأوسط جغرافيًا. وتعترف الوثيقة بطموح الإمبراطور هيلاسلاسى وأنه يريد أن يلعب دورًا. غير أن الإدارة البريطانية رفضت هذا الطلب(١). ومما سبق يتضح بأن موافقة العراق على المشروع قد أبطله الرفض المصرى دومًا. وهذا يعنى أن البلدين قويان إذا اتحدا على هدف، ومتنازعان إذا اختلافا عليه.

ولم يكن قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر حدثًا عاديًا لهذا أثر كثيرًا فى سياسة العراق الداخلية والخارجية. فقد نشرت ثورة يوليو مفهوم الوعى القومى والحركات الثورية، وعملت على تأجيج الصراع بين السلطة الحاكمة فى العراق والتيارات المقاومة لها، فحدثت انتفاضة نوفمبر ١٩٥٢(٢). ويبدو أن الموقف العراقى الرسمى من مشروع الشرق الأوسط كان سببًا رئيسيًا فى تلك الانتفاضة. ولكن حين بلغ الملك فيصل الثاني في ٢ مايو سنة ١٩٥٣، سن الرشد وتولى مهامه الدستورية ملكًا على العراق(٣)، لم تكن هناك مشكلة حول المشروع. وهذا ثابت فى الوثائق البريطانية، فحسبما تشير إحدى الوثائق بتاريخ ٧ يوليو ١٩٥٣ تحت عنوان «موقف البيت الهاشمي في العراق» بأن هناك ازدواجية فى السياسة العراقية، وأنها أحد الأسباب التي أدت إلى تدهور مطرد في الوضع الداخلي. حيث كان هناك قلق من البيت الهاشمي المالك، بما يؤثر على الوضع السياسي المستقر خلال اثني عشر عاما السابقة(٤).

---

(1) F.O.487-7, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 7, January to December 1953, No. 4, United States Governiment 's Decision to Establish A Training Mission in Ethiopia, Mr. Eden to Mr. Bell (Addis Ababa) (No. 8. Confidential) Foreign Office, 28th January, 1953. p.5.

(٢) فواز حماد محمود: العلاقات العراقية المصرية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، مارس ٢٠١٢، صص١٦٨، ١٦٩.

(٣) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، صص٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧-٢٢٩.

(4) F.O.481-7, Secret (19273): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 7,January to December 1953, No. 5,The Position of the Hashemite House in, Sir J. Troutbeck to Lord Salisbury.(Received July 16, (No 119. Secret) Bagdad, July 7, 1953, p.18.

وإذا كانت الإدارة البريطانية قادرة على التحكم فى مجرى الأمور العراقية إلا أنها كانت فاشلة تمامًا على الجانب المصرى. لذا استمرت محاولاتها لضمها لمشروع الشرق الأوسط بشكل دورى ومستمر. وخطاب القائم بالأعمال فى السفارة المصرية بكراتشى إلى وكيل الخارجية فى ٥ فبراير ١٩٥٤، يشير إلى محاولات غربية مستمرة لإشراك مصر فى مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط. لكنه يقطع أيضًا باستمرار الرفض المصرى كانت له أسبابه: أولها، عدم الزج بالدول العربية فى صراع عالمى. ثانيها، عدم التسليم بحق مصر فى مسألة قناة السويس. ثالثها، أن رفضها هذا كان ينفر الدول العربية من الانضمام للمشروع، ويعطل جبهة الدول الغربية عن تحقيق مأربها[١]. ويشير خطاب سفير مصر فى بون إلى وكيل الخارجية بشأن مباحثات مؤتمر الدول التسع فى لندن فى ١٨ أكتوبر ١٩٥٤، بأن الهدف من إنشاء منظمة الدفاع عن أوروبا، لتكون تابعة لحلف الأطلسى، وتساهم فيها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وعدد من الدول الأوروبية، وتشترك بها بريطانيا بأربع فرق للدفاع عن أوروبا، وتساهم أمريكا بنفس العدد فى الجيش الأوروبى على اعتباره من منظمات حلف الأطلسى، وتدخل ألمانيا وإيطاليا للدفاع عن أوروبا، وبالتالى الاشتراك فى حلف الأطلسى بطريق غير مباشر[٢]، كل ذلك يقطع بأن الإدارة المصرية أوقفت برفضها مشروعا أوروبيا طموحا، ظل العراق يراه فى مصلحته.

المحور الثانى: تكوين حلف بغداد

الحلف فى عرف القانون الدولى هو علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر، يتعهد

---

(١) خطاب القائم بالأعمال فى السفارة المصرية بكراتشى، عز الدين أمين، إلى وكيل الخارجية، فى ٥ فبراير ١٩٥٤، ملف ١، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٣٠، حلف تركيا – باكستان، محفظة رقم ٢٤٧ (رقم ٢٤٦ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

(٢) خطاب سفير مصر فى بون إلى وكيل الخارجية بشأن رفع تقرير مستشار أول السفارة أحمد عبد المجيد بشأن مباحثات مؤتمر الدول التسع فى لندن، فى ١٨ أكتوبر ١٩٥٤، ملف ٢، رقم ٢٠٤/ ٧/ ١ مكرر، تقارير بون السياسية، محفظة رقم ٦١٩، أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص١، ٣.

بموجبها الفرقاء المعنيون بالمساعدة فى حالة الحرب[١]. وحتى يتكون أى حلف لابد من أن يمر بفترة طويلة من الاستعدادات والمقاربات وحفظ التوازنات. وخير مثال على هذا هو موضوع محورنا، حلف بغداد. فقد عرفنا من المحور السابق بأن مشروع الشرق الأوسط كان هو المشروع المطروح على المنطقة منذ أواخر الأربعينيات. وأن مصر والعراق كانتا على طرفى النقيض من هذا المشروع، وعلى هذا فإن الخطوات التى حدثت منذ سنة ١٩٥٤ وصاعدا، ما هى إلا استكمال لذلك المشروع وصياغته تحت مسمى حلف بغداد. وقبل أن نتحدث عن مناقشة الوثائق البريطانية لهذا الأمر، نعرض للخطوات التى تابعتها الوثائق المصرية قبل تكوين حلف بغداد. حيث يشير خطاب سفير مصر بدمشق إلى وكيل وزارة الخارجية فى ١٨ يونيو ١٩٥٤، لزيارة رئيس الوزارة الباكستانية لأنقره، ومروره بدمشق فى ١٦ يونيو ١٩٥٤ بهدف دعم الاتفاقية العسكرية المعقودة بين تركيا والباكستان، ثم إقناع بعض الدول العربية للانضمام إلى هذا الاتفاق الذى يرمى إلى دعم الدفاع الذى تريده أمريكا ودول الغرب ضد روسيا فى هذه المنطقة من الشرق الأوسط. وانتقدت الوثيقة الاتفاقية لسببين: أولهما، أنها قد تتسبب فى تصدع جامعة الدول العربية إذا تم انضمام بعض الدول العربية إليها. ثانيهما، أنها ستتسبب فى عزل مصر عن باقى الدول العربية، وإضعاف مركزها فى مفاوضتها مع انجلترا للجلاء عن قناة السويس عقابا لها لعدم موافقتها على الانضمام لأى حلف غربى للدفاع عن الشرق الأوسط[٢].

ومن المؤكد أن الوثائق البريطانية لم تغفل الخطوات التمهيدية لحلف بغداد، حيث تشير المحادثة بين وزير الدولة البريطانى ووزير الشؤون الخارجية العراقية فى ٢٨ يوليو ١٩٥٤ بأن الحكومة العراقية بعد أن هنأت الحكومة البريطانية على تسوية المسألة

---

(١) محمد عزيز شكرى: الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص١١.

(٢) خطاب من سفير مصر بدمشف، اللواء على نجيب، إلى وكيل وزارة الخارجية، فى ١٨ يونيو ١٩٥٤، ملف ١، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٣٠، حلف تركيا – باكستان، محفظة رقم ٢٤٧ (رقم ٢٤٦ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية،، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

المصرية، طلبت منها أمرين: أولهما، عقد معاهدة جديدة مع المملكة المتحدة، وإعادة النظر في المعاهدة الإنجلو-عراقية. ثانيهما، توفير المساعدات البريطانية للعراق، وحمايتها من أي هجوم روسي[١]. غير أن وثيقة أخرى مؤرخة فى ٢٠ يوليو ١٩٥٤ تفضح الدور الذى لعبته بريطانيا فى المجئ بنورى السعيد لتنفيذ خططها. حيث تتطرق الوثيقة إلى ثلاثة أمور تكشف هذا الدور وتوجزه: الأمر الأول، الأحاديث التى دارت بين وزير الدولة البريطانى والسيناتور نوري السعيد فى الفترة ما بين ١٤ و ١٦ يوليو ١٩٥٤ للتعرف على ما إذا كان السعيد سيقدم الدعم له، ويتعاونا سويا مع الآخرين فى مكافحة العناصر الشيوعية. وهنا تفضح الوثيقة العروض التى قدمها نوري السعيد لينال الرضا البريطانى. فقد عبر عن عدم نيته فى تشكيل حكومة تتضمن «عناصر الضعف»، مشيرا لصالح جبر ومؤيديه. وكأن يلمز فى الرجل ويطعن فيه حتى لا يحظى بالدعم البريطانى. بل إن قوله: «بأنه يدرك جيدا بأن السفير البريطانى كان يدعو صالح جبر للتعاون معه، إلا أنه كان يصر على رأيه»، يعبر بأنه من المرونة بمكان للتعامل مع الموقف. بل إن إضافته «بأنه غير مستعد للتعاون معه إلا إذا نبذ سياساته الغوغائية علنا، وأعطته الجماهير دعمها، وأنه لا يوجد صراع شخصى بينه وبين صالح جبر إلا أن طموحات الأخير وضعته فى موقف حرج، حيث كان يقدم وعود غير مسؤولة للفوز بالدعم الشعبي، جعلته يرى فى نفسه أنه كسعد زغلول أو النحاس، مع أنه في الواقع ليس لديه برنامج سياسي يستحق النظر»، يضعنا أمام رجل يستخدم خصمه كفزاعة للبريطانيين. الأمر الثانى، أنه عند الضغط عليه من قبل وزير الدولة، حول شكل الحكومة التى يعمل معها، عبر تعبيرا يسوق فيه نفسه للبريطانيين تسويقًا جيدًا. فحين ذكر «بأنه سيشكل حكومته من أوسع نطاق ممكن، وبأنه سيضم أي شخص من شأنه أن يساعد فى بناء سياسات مقبولة يعمل على تنفيذها، وأن هذا

(1) F.O.487-8, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 1, January to December 1954, No. 8, Conversation between the Minister of State and the Iraqi Minister for Foreign Affairs on July 28, 1954, Mr. Eden to Mr. Hooper (Bagdad) (No. 141. Confidential) Foreign Office,, August 4, 1954. p.5.

قد يشمل صالح جبر، مع أنه يشك فى أن الأخير سيخضع بما يكفى للعمل تحت قيادته، لكنه يملك من البدائل والحلول ما يكفى»، فهذا يعنى أن الرجل يملك خيارت أوسع من منافسه على المنصب(١).

الأمر الثالث، أن حديثه المشكوف عن المشروعات البريطانية فى المنطقة يقطع بأن الرجل كان يمتلك من الخبرة ما يقنع المسؤلين البريطانيين به بشكل مستمر. فحين عبر «بأن نظام الدفاع الإقليمي يمكن وضعه على أساس عربي بمشاركة مصر، وأن هذا سيتوقف على التقدم فى المفاوضات الأنجلو مصرية، وأن هذا سيتطلب تغييرا فى الموقف العربى وسياساته، وأنه لم يكن راغبا في ما فعلته مصر، وأنها يمكن أن تدخل في هذه المجموعة إذا رغبت، بشرط أن تتركهم وشأنهم إذا رفضت» يدلل على أن الرجل يدرك ما يفكر فيه البريطانيون، ويقدم لهم الإجابات التى تريحهم وتطمئنهم. ولعل رصد الوثيقة الخلاف المصرى العراقى حول هذا الأمر يعد خير مثال على رؤية الرجال حول مستقبل العلاقة مع مصر حول المسألة. فحين عبر نورى السعيد «بأن العراق لا يمكنه مغادرة الجامعة العربية، وأنه من غير المتوقع أن تتصرف مصر جيدا بما فيه الكفاية لايجاد حل ممكن، حيث درج المصريون على مهاجمة العراق وعلاقاتها مع باكستان، وأن هذا سيظهر للإنجليز خلال مفاوضاتهم فى ٤ أغسطس القادم»، يشى بأن العلاقة بين البلدين كانت متوترة حول الخطوات التى تتخذها العراق قبل ظهور الحلف بشكل رسمى. بل إن استدعائه لرسالة سابقة بتاريخ ٢٥ يونيو، وإحاطته فيها الإدارة البريطانية علما بشأن المقابلة التى جرت بين الدكتور فاضل الجمالي، وزير الخارجية العراقى، ووزير الدولة البريطانى حول الدفاع بحزم عن الترتيبات مع الغرب، حتى وإن كانت هى السياسة الوحيدة لعزل مصر»، يشير إلى أن البديل العراقى لعزل مصر فى حالة رفضها

(1) F.O.481-8 (19572): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 8,January to December 1954, No. 15, Conversation between the Minister of State and Senator Nuri Said on July 15 and 16, 1954, Mr. Eden to Mr. Hooper (Bagdad), (No. 130. Secret) Foreign Office, July 20, 1954, p.28-30.

لحلف بغداد كان قائمًا. بل كانت خطة تقوية معاهدة باكستان العراق الدفاعية، من خلال ربط سوريا ولبنان بها، بديلًا عراقيًا مطروحًا فى حالة انسحاب القوات البريطانية من السويس. فهذا من شأنه إعطاء تلك الأطراف خطوط اتصالات مع البحر الأبيض المتوسط. ولعل انتهاء الوثيقة بطرح رؤية السعيد «بأنه حان الوقت لوضع نهاية للمؤامرات المصرية السعودية في سوريا ولبنان، وقيام الحكومة الفرنسية بممارسة نفوذها لدفع سوريا ولبنان لإقامة علاقة مع العراق» تثبت بأن الرجل كان هو المطلوب وصوله للسلطة فى تلك الفترة. وبالتالى لا يهم إجابته حول استفسار السفير البريطانى فى بغداد حول ما إذا كان العراق يهدف إلى احترام سيادة سوريا واستقلالها، «بأنه ليس لديه الرغبة فى إحداث تغيير فى الوضع السياسي لسوريا أو أنه يطلب من بريطانيا بأن تقوم بفعل شيء من شأنه إثارة العداء بين الفرنسيين والسوريين، وأن رغبته تتمثل فى توثيق التعاون بشأن الدفاع والتجارة والمسائل الجمركية والاتصالات»[١]، يثبت بأن الرجل كان مستعدا لتلك المرحلة، وأن بريطانيا وجدت فيه ضالتها المنشودة.

وفسرت لنا إحدى الوثائق البريطانية الظروف القاسية التى تولى فيها نورى السعيد الوزارة. فقالت بأنه منذ استقالة حكومة الدكتور فاضل الجمالي في أبريل عام ١٩٥٤، وتزايد الجمود في البرلمان، وتصاعد موجة التحريض في البلاد، كان الرجل هو الأمل فى حل تلك العقبات. حيث دعى على أرشد العمري لتشكيل الحكومة وعقد الانتخابات لكنه لكبر سنه وقضائه فصل الصيف في اسطنبول بعيدا عن حرارة بغداد وغبارها لم يكن رئيسا للوزراء جيدا لتلك الفترة. فلم يحل مشكلة البرلمان ولم يحل مشكلة إثارة المشاعر القومية والعداوات المحلية. وكان الوضع ينذر بكارثة لذا قدم استقالته دون انتظار لعقد البرلمان وغادر إلى تركيا، فجاء نورى السعيد ليهيئ الأوضاع[٢].

---

(1) Ibid.

(2) F.O.481-11, (20974): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 11,January to December 1957, No. 7, The achievements of Nuri Said, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. {Received July 9, No. 176. Confidential) Bagdad, July 4, 1957, p.23.

ولعل المحادثة بين وزير الخارجية العراقى ووزير الخارجية البريطانى في ٢٨ يوليو ١٩٥٤ حول التسوية المصرية البريطانية، والتى أشار فيها الوزير العراقي إلى ضرورة عقد معاهدة جديدة بينهم وبين المملكة المتحدة؛ وأن هدفها الأساسى هو توثيق التعاون بين الدول العربية، جعل الحكومة البريطانية تقر بذلك، وتقبل تشكيل حكومة عراقية جديدة بقيادة نوري السعيد(١). الأمر الذى جعله يؤلف وزارته الثانية عشرة في ٣ أغسطس ١٩٥٤، بهدف رئيسى وهو ربط العراق بالأحلاف الغربية. فما كان منه إلا أن أصدر عدة مراسيم، أراد بها أن يستبق الأحداث ويقمع أية معارضة شعبية ضد الحلف المزمع إنشاؤه. معلنًا الحرب على الأحزاب والجمعيات والصحف، والنقابات الوطنية، وحتى النوادي الاجتماعية(٢). لكن ما قالته إحدى الدراسات من أن عودته للحكم قد تمت بناءً على توصية السفارة البريطانية لينفذ المخطط البريطاني الأمريكي الهادف إلى ربط العراق بحلف بغداد(٣)، يغاير ما قالت به الوثائق البريطانية التى عرضناها. فقد كانت الخارجية قبل السفارة هى التى تولت ترتيب المسألة، وأن الرجل أُختبر شفهيًا، ونجح فى هذا الاختبار.

وإذا كانت الوثائق البريطانية لم تغفل الاستفسار من نورى السعيد عن تصورات لمواجهة الانتقاد المصرى لموقفه من الحلف المزمع إنشاؤه، فإنها لم تغفل أيضا التحركات المصرية الواعية لتحركات الطرفين والراصدة لها. ولعل حديث إحداها عن محادثة جرت بين أحد المسؤلين البريطانين ومسؤلين مصريين فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٤، ونقاشها للآثار المترتبة على الموقف المصرى الداعم لإقامة حلف الأمن العربي، واعترافها بأن هذا يناقض اتفاقية الجلاء، ويناهض عمل أى ترتيبات بين

---

(1) F.O.481-8 (19572): Op.Cit., No. 16,Conversation between the Minister of State and the Iraqi Minister for Foreign Affairs on July 28, 1954, Mr. Eden to Mr. Hooper (Bagdad), (No. 141. Confidential) Foreign Office, August 4, 1954, p.30, 31.

(٢) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، ص٢٤٥.

(٣) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز، المرجع السابق، ص٥٩، ٦٠.

الدول العربية والغرب، يثبت بأن بريطانيا كانت منزعجة من المواقف المصرية المعلنة والمستقبلية. وهو الأمر الذى جعل الإدارة البريطانية تعمل على تغيير موقفها. فختام الوثيقة «بأنه على الرغم من أن وضع اتفاقية الأمن العربى كان ضد إسرائيل، إلا أنها ترغب فى أن تكون أساسا للدفاع ضد روسيا السوفيتية»(١)، يقطع بأنها كانت تدرك عواقب خطوة إعلان الحلف، وأن التحركات المصرية مربكة.

وفيما يتعلق بموقف الإدارة المصرية من التقارب التركى العراقى، تشير إحدى الوثائق البريطانية أن الصحافة المصرية شنت فى الفترة من ١٨-٢٥ يناير ١٩٥٥ حملة دعائية عنيفة ضد نوري باشا بمناسبة اقتراح الحلف التركى-العراقى. وأن هذه الدعاية قد أحدثت اضطرابات عنيفة فى العراق فى المدة من ٢٢-٢٤ يناير، رغم تأكيد الداخلية العراقية بأنها على ثقة من وقوفها في وجه الضغوط التى وضعت عليها. وتستمر الوثيقة فى عرض تلك التأثيرات وتختزلها فى أمرين: الأول، حدوث اعتقالات لثلاثين طالبًا من كليتى القانون والتجارة بتهمة إثارة التحريض ضد الحكومة في سياستها التركية. الثانى، انتهاج وزارة نورى السعيد سياسة قمعية ضد الشيوعيين والمحرضين، للقضاء على الاضرابات التى استمرت طيلة شهور يناير وفبراير ومارس. غير أن الوثيقة عبرت عن ضرورة الأخذ في الاعتبار الصعوبات الداخلية التي يواجهها رئيس الوزراء المصرى. مفسرة موقف الحكومة العراقية بأنها إذا رفضت التحالف مع تركيا فسوف يكون موقفها غاية فى الصعوبة. وأنها إذا فشلت فإن سياسة الدفاع الإقليمي ستفشل في المستقبل القريب. مؤكدة على أن ظروف الدول العربية جميعها مواتية لإطلاق خطة الدفاع الإقليمي. وأنه من المؤسف ألا تكون مصر غير قابلة بهذا الأمر، مع أن مبادرة نوري السعيد تقول بأن تحالفًا مع تركيا

---

(1) F.O.487-8, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 8, January to December 1954, No. 16, Mr. Shuckburgh's Conversations with Egyptian Ministers... Uiscussions on Israel, Jordan, Turco-Pakistan-Iraqi Pact and Relations with the West, Mr. Murray to Sir Anthony Eden. (Received December 20) (No. 228. Confidential) Cairo, December 15, 1954, p.55.

هو خطوة في الاتجاه الصحيح، وأنه لابد من دعمه وتأمين المصالح البريطانية في هذا المجال[١]. وهذا يعنى أن الإدارة البريطانية كانت على علم بالخلافات الموجودة بين مصر والعراق لأنها السبب فيها، وأنها انحازت للطرف المؤيد لخططها، والداعم لمشروعها.

وإذا نظرنا للوثائق المصرية المتعلقة بإقامة الحلف، ثم استعرضنا الوثائق البريطانية ورؤيتها لنفس الموضوع، لوجدنا فارقًا كبيرًا. فهناك خفايا وأسرار يكشفها البحث لأول مرة. ولنبدأ بالوثائق المصرية لنتعرف على هذا الفارق بينها وبين رؤية الوثائق البريطانية للموضوع فيما بعد. حيث تشير رسالة وزير مصر المفوض بالفاتيكان إلى وكيل وزارة الخارجية فى ١٥ فبراير ١٩٥٥ بأن المفوضية المصرية هناك كانت أول من أرسلت خطابا للإدارة المصرية عن نوايا العراق لإقامة حلف بغداد. فقالت عندما تقدمت العراق للدول العربية بمشروع يقضى بإيجاد وحدة عربية واقتصادية وسياسية وقانونية على أن يترك لكل دولة تحديد الموقف الذى تراه منها، بأن ما تسعى إليه العراق هو الوصول بالجامعة العربية إلى التكتلات الثلاث: أولها، العراق ألاردن سوريا. ثانيها مصر والسودان وليبيا. ثالثها، السعودية واليمن والمحميات الجنوبية. وأن هذا يتمشى مع سياسة بريطانيا فى إيقاف النفوذ السوفيتى وراء خط الدفاع الأول عن الشرق الأوسط، والذى يتألف من تركيا وباكستان وإيران والاحتفاظ بمنطقة الشرق الأدنى وأفريقيا تحت السيطرة البريطانية، وإمكان ربط تكتلات عربية بحلف دفاعى مشترك، كالضمان الجماعى، يكون لبريطانيا الكلمة العليا عن طريق إتفاقية ثنائية بين بريطانيا والتكتلات المذكورة[٢]. وهو ما أكدت عليه إحدى الدراسات

---

(1) F.O.487-9, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 9, January to December 1955, No.2 Dispatsh of Mr. Hooper, Record of events, January 18-25, 1955, in connexion with the proposed Turco-Iraqi Pact, No. 30 , Jan. 26, 1955, p.55.

(٢) خطاب وزير مصر بالفاتيكان إلى وكيل وزارة الخارجية بشأن الحلف العراقى التركى وموقف العراق من الجامعة العربية، فى ١٥ فبراير ١٩٥٥، ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٢، الاتفاقيات التركية العراقية، محفظة رقم ٢٤٩ (رقم ٢٤٨ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية.

العراقية بأن ميثاقا للتعاون المتبادل بين العراق وتركيا قد عقد في ٢٤ فبراير ١٩٥٥، وأن مادته الأولى نصت على تعاون الدولتين لغرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما[١]. لكن تستمر الوثائق المصرية فى عرضها لما حدث، حيث يشير خطاب سفارة مصر فى لندن فى ١٣ ابريل ١٩٥٥ بأن مجلس العموم البريطانى اجتمع ظهر ٤ ابريل ١٩٥٥ معلنا انضمام الحكومة البريطانية إلى ميثاق تركيا-العراق، وذلك من أجل تقوية الجناح الأيمن لحلف الناتو[٢]. تنفيذا لسياسة الغرب فى إقامة الحزام الشمالى Northern Tier. بل قطعت إحدى الوثائق المصرية بأن الحلف العراقى التركى سيساعد الكتلة الغربية ويرجح كفتها على الكتلة الشرقية فى منطقة الشرق الأوسط. لكنها عبرت عن وجهة النظر الغربية فقالت، بأن عدم اشتراك مصر وباقى الدول العربية فيه لن يؤتى الثمرة المرجوة، وأن بعد مصر والدول العربية عن تلك الأحلاف سيجعلها قليلة الجدوى، خاصة وأنهم قابلوا مولد هذا الحلف بتكوين أحلاف دفاعية ثنائية. بل استعانوا بدول الكتلة الشرقية فى مد هذه الأحلاف بحاجتها من السلاح، وهو الأمر الذى يقلل من نتائج الحلف العراقى التركى. مضيفة بأن انضمام إيران إلى الحلف سيقوى من ساعد الكتلة الغربية، لكنها قالت بأن انضمان تركيا والعراق وباكستان وإيران لبريطانيا، ورفض مصر له، ودخولها فى أحلاف ثنائية عربية، واستيراد السلاح من الكتلة الشرقة سيضعف من الحلف[٣]. فدخول مصر فى

---

(١) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٢) خطاب مصطفى الديب بنشى، سكرتير أول السفارة المصرية بلندن، إلى وكيل وزارة الخارجية بشأن مناقشة الاتفاقية الخاصة بانضمام بريطانيا إلى الميثاق التركى العراقى بمجلس العموم البريطانى، فى ١٣ أبريل ١٩٥٥، ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٢، الاتفاقيات التركية العراقية، محفظة رقم ٢٤٩ (رقم ٢٤٨ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص١، ٢.

(٣) خطاب من القائم بالأعمال بمفوضية بريتوريا، محمد سامى، إلى السيد وكيل الخارجية الدائم، بشأن صدى انضمام إيران إلى الحلف العراقى التركى فى الأوساط الرسمية فى الاتحاد، فى ١٥/ ٥/ ١٩٥٦، ملف ٢،٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٣، الاتفاقيات التركية العراقية، محفظة رقم ٢٤٩ (رقم ٢٤٨ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، صص١، ٢.

أحلاف ثنائية عربية، بعقد اتفاقيات ثنائية بين مصر وسوريا والسعودية، ومن المحتمل توقيع اتفاقية تعاون عسكرى مع لبنان، وأن روسيا تنشط فى أفريقيا بمساعدة العرب[١]، يعنى أنها اتفاقيات عسكرية تخالف حلف بغداد. وهذا يعنى أن الإدارة المصرية كانت حجر عثرة للمشروعات البريطانية فى المنطقة. وأن العراق تم توظيفه ليكون جسرا للغرب فى الوقوف ضد التوسع السوفيتى فى المنطقة.

وفى نفس السياق تشير مذكرة إدارة المخابرات العامة المصرية، بأن دخول إسرائيل فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط فى ٣ أبريل ١٩٥٥ يجعلها تبذل جهودا جبارة للارتباط بأمريكا أو تركيا فى أى منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط. وأن تركيا لا ترغب فى عقد معاهدة مع إسرائيل إلا بعد أن تتبلور المساعى التى تبذلها لضم باقى الدول العربية لحلف تركيا العراق[٢]. وخلاصة الأمر أن حلف بغداد قد اكتمل بانضمام تركيا وباكستان والعراق وإيران وبريطانيا، برعاية عسكرية أمريكية، ليصبح اسم الحلف بعدها «حلف بغداد».

إلى هنا كان حديث الوثائق المصرية عن قيام حلف بغداد، لكن إذا نظرنا للوثائق البريطانية لوجدنا أنها تعج بالتفاصل المهمة حول الموضوع. فتحت عنوان «الحلف العراقى التركى» تأتى إحدى الوثائق البريطانية بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٥٥، بنص ميثاق الحلف على اعتبار أنه استمرارا للتعاون المتبادل بين البلدين منذ عقد معاهدة الصداقة

---

(١) مرفق خطاب من القائم بالأعمال بمفوضية بريتوريا، محمد سامى، إلى السيد وكيل الخارجية، بشأن صدى انضمام إيران إلى الحلف العراقى التركى فى الأوساط الرسمية فى الاتحاد، فى ١٥/ ٥/ ١٩٥٦، ملف ٢،٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٣، الاتفاقيات التركية العراقية، محفظة رقم ٢٤٩ (رقم ٢٤٨ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

(٢) مذكرة البكباشى أركان حرب عثمان نورى نائب إدارة المخابرات العامة بشأن دخول إسرائيل فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط فى ٣ أبريل ١٩٥٥، ملف ٢، رقم ٣٨/ ٦٨/ ٢٨، حلف الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية»، محفظة رقم ٢٤٥ (رقم ٢٤٤ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية.

وحسن الجوار، المبرمة بين ملك العراق ورئيس الجمهورية التركية في أنقرة في ٢٩ مارس ١٩٤٦. وفى هذا الإطار فصلت الوثيقة فى مضمون الميثاق التركى العراقى، وقالت سبعة أمور: الأول، أنه يقر بأن السلام والأمن بين البلدين هو جزء لا يتجزأ من السلام والأمن لجميع دول العالم، وعلى وجه الخصوص دول الشرق الأوسط، وأنه هو الأساس لسياساتها الخارجية. الثانى، أن المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي تلتزم بما اتفقت عليه دول الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحد. الثالث، أن الاتفاق تم برعاية الملك فيصل الثاني، ملك العراق، والسيد نوري السعيد، رئيس الوزراء، وبرهام الدين باشا، القائم بأعمال وزير الخارجية، والسيد جلال بايار، رئيس الجمهورية التركية، والسيد عدنان مندريس، رئيس الوزراء، والسيد فؤاد كوبرولو، وزير الشؤون الخارجية. الرابع، أن مادته الأولى جاءت اتساقا مع المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، حيث أقرت بتعاون الأطراف المذكورة على أمنهم والدفاع. الخامس، أن السلطات المختصة في البلدين ستحدد التدابير التي ينبغي اتخاذها في أقرب وقت يدخل الاتفاق حيز النفاذ. السادس، تعهد فى مادته الثالثة بامتناع أى طرف عن التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر بأى صورة، وأن تتم تسوية النزاعات بينهما بطريقة سلمية، ووفقا لميثاق الأمم المتحدة. السابع، أن المادة الرابعة قالت بأن التصرفات في الاتفاق الحالي لا تتعارض مع أي من التزاماتهما الدولية تجاه الدول الأخرى[1].

ولم نتعرف على تفاصيل تشكيل الحلف من وثائق الخارجية البريطانية فى سنة ١٩٥٥ فقط، بل استمرت تلك الوثائق تقدم لنا بعض التفاصيل المهمة التى لا نجدها فى أى أرشيف آخر. ففى إحدى رسائل مايكل رايت إلى سلوين لويد نتعرف على أن

---

(1) F.O.487-9, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 9, January to December 1955, No. 6, Iraqi-Turkish Pact, Sir Michael Wright to Sir Anthony Eden. {Received February 25) (No. 189. En Clair) Baghdad, (Telegraphic) February 25, 1955 , p.13.

حكومة السعيد ورثت من حكومة جميل المدفعي[١] دراسة من قبل مجلس الوزراء أعدتها لجنة تتعلق بإيجاد السبل لإنهاء المعاهدة البريطانية العراقية لعام ١٩٣٠، واستبدالها لتنتهي في أكتوبر ١٩٥٧. حيث أوصت هذه اللجنة بجملة أمور، منها عقد اتفاق إقليمي لا يتعارض مع المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة. وبطبيعة الحال بحث نوري السعيد عن كيفية إبرام مثل هذا الاتفاق. فاتصل بالحكومة المصرية التى أبرمت مؤخرًا اتفاق قناة السويس مع الحكومة البريطانية. فالتقى السعيد مع الرائد صلاح سالم في سرسنك Sarsank في أغسطس، ومع العقيد ناصر في القاهرة في سبتمبر، وكان هذا مشجعا بما فيه الكفاية ليمضي بقوة بعقد الميثاق. لكن قيل بأن تنكر الحكومة المصرية لاتفاق صلاح سالم يشير بأن ما حدث في القاهرة كان غامضًا. فقد اعتقدوا بأن العقيد ناصر كان مشجعًا، وأنه لا يريد الانتماء لكتلة السوفيت، وأنه لا يمكن تصميم بناء على أشياء مبهمة أدلى بها العقيد ناصر. المهم أن زيارة رئيس الوزراء التركي إلى بغداد في يناير، والخطوات الأولى نحو إقامة الحلف العراقي التركي فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥، ثم انفجار المعارضة من مصر، جعلت الحديث يخفت بأنهم حصلوا على حليف آخر للعرب ضد إسرائيل. فالاتفاق العراقي التركى كما نص فى مادته الخامسة يسمح بانضمام الدول الأخرى. لكن ما حدث العكس، فقد عقدت اتفاقيات ثنائية خاصة بين تلك الدول، حتى قبل توقيع نوري السعيد عليه. من هنا بدأت بريطانيا العمل من أجل انضمام المملكة المتحدة إلى الحلف، وإبرام اتفاق خاص مع الحكومة العراقية، وهو الاتفاق الذى تم توقيعه فى ٤ أبريل[٢]. وهذا يعنى أمرين: أولهما، أن محاولة العراق لجر مصر للحلف قد حدثت إلا أن الجهود المصرية لإبطاله بدأت منذ لحظة ولادته الأولى. ثانيهما، أن الاتفاقيات الثنائية قد أضرت بمستقبل

---

(١) استمر جميل المدفعى رئيسا للوزارة فى نهاية فترة الملك غازى وبداية فترة الملك فيصل الثاني حتى قدم استقالة حكومته في ١٥ سبتمبر ١٩٥٣.

(2) F.O.481-11,(20974): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 11 ,January to December 1957, No. 7, The Achievements of Nuri Said, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. {Received July 9, No. 176. Confidential) Bagdad, July 4, 1957, p.24.

الحلف وأبطلت إمكانية تحقيق أهدافه، الأمر الذى جعل الإدارة البريطانية تغير من طريقة تعاملها فى العراق.

وتحت عنوان «المفاوضات مع العراق بعد نقل القيادة إلى الحبانية والشعيبة»، تحدثت إحدى الوثائق البريطانية بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٥ عن المزايا التي يمكن تحقيقها من خلال تعزيز الاتفاق الجديد وبقاء نوري السعيد في السلطة. فقالت بأن الدعم الشعبي للاتفاق يعتمد على مدار العلاقات البريطانية العراقية بشكل عام. وأن هناك مذكرة قوية فى ديسمبر تحذر من أي ضمان باستمرار بقاء نورى السعيد رئيسا للحكومة. وأنه إذا ذهب السعيد فسيخلفه؛ إما صالح جبر أو أحمد مختار بابان أو نجيب الراوي أو فاضل جامع أو ضياء جعفر أو آخرين، وأنهم لا يعطون احتمالًا لأى من هذه الأسماء، فربما تواصل الخطوط الرئيسية لسياسته الخارجية، وبخاصة دعم حلف بغداد والاتفاق الأنجلو عراقي الجديد، غير أنها أكدت على أن اليد الحاكمة لن تكون قوية. بل أضافت بأنه بفقدان نورى السعيد سيفقدون القرص المحرك. وأنه بتصاعد السخط الداخلي رفضا لتخصيص المال لشراء المنشآت، ستكون هناك معارضة. ولفتت الوثيقة النظر فى نهايتها بضرورة تقديم مساعدات الأسلحة للعراق مجانا، وعلى وجه الخصوص المعدات والمدرعات، تلك التى لم يتم تسويتها بعد. وقالت بوجود حل تلك المشكلة فى البرلمان الجديد[1]. وعلى هذا كانت الوثائق البريطانية أكثر واقعية، وتعاملت بحرفية شديدة لاستمرار رجلها فى السلطة.

وتقدم لنا الوثائق البريطانية خلفية مهمة عن الاجتماع الأول لمجلس حلف بغداد، فتحت هذا العنوان أشارت رسالة السير مايكل رايت إلى السيد ماكميلان فى ٣٠ نوفمبر ١٩٥٥ بأن هذا الاجتماع عقد في بغداد فى ٢١ و٢٢ من ذلك الشهر، وأنه كان

(1) F.O.481-9 (20133): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 9 ,January to December 1955, No. 13, Negotiations with Iraq following the Transfer of Command at Habbaniya and Shaiba, Sir Michael Wright to Mr. Macmillan. {Received July 23) (No. 159. Confidential) Bagdad, July 19, 1955, p.35.

عبارة عن جلسات أربع عقدت فى بغداد قبل يومين من افتتاح المؤتمر، حيث سبقها وصول وفد تركي بقيادة عدنان مندريس، ووفد باكستانى بقيادة السيد محمد علي، وإيرانى بقيادة حسين علاء. وأنه تحت قيادة الملك فيصل الثاني عقدت اجتماعات المجلس في قصر الزهور وهو على بعد ٢ ميل خارج بغداد. وفي الافتتاح فى صباح ٢١ نوفمبر حضر ممثلو الصحافة من جميع الدول الأعضاء، وحضرته وكالات الأنباء الدولية الرئيسية بأعداد كبيرة. وانتخب نوري السعيد بالإجماع رئيسيًا حتى نهاية عام ١٩٥٦. ووافق المجتمعون على مشروع قرار بإنشاء المجلس الدائم لحلف بغداد على مستوى وزاري. داعين انضمام سفير الولايات المتحدة ببغداد للاجتماع. وسمحوا بوجود الصحافة فى الجلسة الاولى فقط، تمهيدا للمناقشات السرية المطروحة على جدول الأعمال. وتعترف الوثيقة بأن بريطانيا هى التى اتخذت مسمى «حلف بغداد» حيث كلفت حكومة العراق بمهمة تسجيله بهذا الاسم مع الأمم المتحدة نيابة عن جميع الموقعين(١).

واستعرضت الجلسة الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي بشكل عام، وتم التحذير من الاتحاد السوفيتى، وأن إقامة حلف بغداد قد جاء فى الوقت المناسب تمامًا. لكن اقترحت بألا يقتصر التعاون بين الدول الأعضاء فى الاتفاق فقط، بل أشير بامتداده إلى الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى، وذلك للمشورة الفنية حول مواجهة التهديدات الشيوعية، مع ضرورة الاستفادة من تجربة حلف جنوب شرق آسيا. وانتهى إلى ثلاثة انطباعات عامة: أولها، اتفاق نواب الوزراء على أن الاجتماع المقبل للمجلس سيكون على مستوى وزاري في النصف الأول من شهر أبريل عام ١٩٥٦ في طهران. وأن اجتماع منظمة الأمن سيتم في ديسمبر ١٩٥٥. وأن الاجتماع

---

(1) F.O.487-9, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 9, January to December 1955, No.11, Proposed Syrian Agreement with Egypt and Saudi Arabia, Sir John Gardener to Mr. Macmillan. (Received April 25) (No. 55. Confidential) Damascus, April 20, 1955. p.41.

الأول للأمانة العامة العسكرية المؤقتة سيكون فى ١٥ ديسمبر، وأن اجتماع المخططين العسكريين الأول سيعقد فى ١٥ يناير. فى حين تعقد اللجنة الاقتصادية اجتماعاتها في ديسمبر، حتى يكونوا راضين عن الانجازات التى تتم على أرض الواقع. وأن العراقيين يفتقرون إلى الخبرة والقدرة الإدارية التي ستكون ضرورية للحفاظ على الزخم الذي تم فى الاجتماع الأول، ليكونوا مستعدين لتقديم المشورة بشكل مستمر. ثانيًا، أظهرت الاجتماعات أن الميثاق يجب أن يكون قادرا على ترسيخ نفسه خلال الأشهر القليلة المقبلة عبر قوة الدفع الخاصة به، ويضم أعضاء جدد. وتم ترشيح الأردن ولبنان وأمريكا لهذا الانضمام، بهدف إقامة حلف قوى لا يستهان به. ثالثًا، أن الدفاع عن المنطقة سيكون هدفه الاطمئنان على حل مشكلة فلسطين. ويمكن القول بأن بعض الوفود استغلتها فرصة لتبادل وجهات النظر حول الوضع الدولى بطريقة ودية في منتدى عالمي. كما تم استعراض المشاكل التي تعاني منها المنطقة، فأوصت حكوماتها بالقيام بالجهد اللازم. لكن اعتبرت الوثيقة الحلف فى نهايتها بمثابة تجمع مشابه لتجمع الكومنولث، أو أنه نوع من أنواع المؤتمرات الدولية(١).

وتحت عنوان «تشكيل حكومة جديدة» أشارت رسالة السير مايكل رايت للسيد سلوين لويد فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥٥ إلى استقالة حكومة العراق فى ١٧ ديسمبر، وإلى حدوث تغييرات جديدة. فذكرت أنه ليس من المرجح أن تضيف تلك التغييرات أي قوة لنوري السعيد أو لمجلس الوزراء، حيث تم إضافة ثلاثة رجال صادقين لإزالة وصمة خيانة الأمانة. وتم تشكيل الحكومة الجديدة من قبل نوري السعيد في وقت لاحق من نفس اليوم. وقالت بأن الوزراء الجدد الثلاثة هم سيد عبد الرسول الخالصي، وزيرا للشؤون الاجتماعية، والدكتور عبد الأمير علاوي وزيرا الصحة، ومنير القاضي، وزيرا للتربية والتعليم. مبدية ملاحظة شخصية مغلقة عن منير القاضي(٢).

---

(1) Ibid., p.41, 44.

(2) F.O.481-9 (20133): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 9 ,January to December 1955, No. 14, Formation of new Government on December 17, 1955, Sir Michael

وعبر الوثائق البريطانية ندرك بأن حلف بغداد ليس هو الاتفاقية المؤسسة فقط، حيث أشارت إحدى الوثائق إلى اجتماع اللجنة الاقتصادية لحلف بغداد، عبر مراسلة من السير مايكل رايت للسيد سلوين لويد فى ١٨ يناير ١٩٥٦. فقد ذكرت الوثيقة بأن اجتماعات اللجنة عقدت في بغداد فى ١٠ و١١ يناير. وكلفت بمهمة دراسة التقارير وتقديمها إلى المجلس، بشأن تدابير التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء فى الحلف، وتعزيز الموارد الاقتصادية والمالية لها ومساعدتها. ونظرا للأهمية التي توليها الحكومات الأعضاء في هذا الجانب، أوصت الجلسة الافتتاحية للجنة بأن تعقد على المستوى الوزاري وأدنى من الوزارى، من أجل تمهيد الطريق لمناقشة الوزراء للموضوعات المتخصصة، على أن تكون لاحقة لاجتماع الخبراء. وفى نفس الاجتماع قاد بعض الوفود وزراء، كبريطانيا والعراق، أما الآخرين فكانوا على مستوى أدنى من الوزارى[١].

وكانت أهم مساهمة للمملكة المتحدة هى عرض المساعدة التقنية في الإعداد لمركز تدريب بغداد، في مجال الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية[٢].

وتفضح لنا الوثائق البريطانية الدور الأمريكى فى الحلف، حيث تشير إحدى الوثائق لمناقشة جرت على الغداء بين السيد دالاس والسفير البريطانى فى باريس، فى ٣ مايو ١٩٥٦ حضرها وزيرة الخارجية الفرنسى. فتعترف بإضمام حكومة الولايات المتحدة للجنة اللجنة الاقتصادية ومكافحة عدم تخريب حلف بغداد، بتشجيع الدول

Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received January 2, 1956) (No. 281. Confidential) Baghdad, December 24, 1955, p.37.

(١) فإيران حضر منها العضو المنتدب لمنظمة التخطيط الإيراني، وحضر من باكستان سعيد حسن، أمين وزارة الشؤون الاقتصادية، ومن تركيا حضر سفيرها في بغداد. وحضر من الولايات المتحدة الأمريكية ممثل مراقب.

(2) F.O.487-10, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 10, January to December 1956, No. 3, First session of the Baghdad Pact Economic Committee Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received January 24) No. 20 E. Confidential) January 18, 1956, p.6.

الأعضاء فيه. وعرضت فكرة استخدام تجمعات إقليمية لاغرض اقتصادية وتقديم المساعدات التقنية للبلدان الأقل نموا. وهنا تقر الوثيقة بأنهم قد أعربوا بأن التدخل السوفيتى في الشرق الأوسط قد يؤدي إلى قتال خطير لا يمكن وقفه بسهولة. فى حين ذكرت بريطانيا بأن المصالح الحيوية للغرب مهددة. وأنه لابد من مساعدة تلك الدول لتحصينها ضد أى اختراق اقتصادي وتقني. خاصة وأن السوفيت يعترضون بشدة على حلف بغداد، ويبذلون قصارى جهدهم لتدميره. وأن الغرب نفسه منزعج من القواعد الجوية الغربية في دول الحلف، خصوصا تلك التي يمكن أن تمثل خطرا على حقوله النفطية فى تلك المنطقة. فأشار البريطانيون بأنه لا قواعد جديدة في دول الحلف، وأنه ينبغى على أمريكا تقديم نفس الضمانات. وأقرت الوثيقة بوجود قواعد للأمريكان في تركيا، لم يستفد منها الدول المكونة لحلف بغداد، وأنه لا نية لديهم فى الحصول على قواعد جديدة. أما فيما يختص بمصر، فنوقشت مسألة السد العالي في أسوان، فعبر دالاس بأنهم سيسحبوا أقدامهم بحيث لا يتم المشروع. معبرين بأنهم لم يجيبوا على المقترحات المصرية المعروضة عليهم قبل نحو شهرين، ولم يجيبوهم بعدها. وأن عبد الناصر كان على عجلة من أمره، فكان يجرى التفاوض مع السودان حول المياه. فاعتقد دالاس بأن الحكومة المصرية قد بدأت تشعر بأن المشروع مكلف جدا، وينطوي على التزامات اقتصادية ثقيلة على اقتصادهم على مدى السنوات العشرين المقبلة. وأنه إذا كان الأمر غير مبشر، فإنهم سحبوا دعمهم لمشروع السد. ومن ثم توقعت الخارجية الفرنسية بأنه حفاظًا على كرامة الروس، وجوب ترك المشروع يقع، ولكن دون إعطاء أي عذر لعبد الناصر لتحميلهم الخطأ[١].

(1) F.O.487-10, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 10, January to December 1956, No. 10, Discussions with Mr. Dulles at luncheon, British Embassy, Paris, May 3, 1956, p.30.

المحور الثالث: الدعاية المصرية ضد العراق وتكوين حلف بغداد

عرفنا فى المحور السابق تفاصيل مهمة عن قيام حلف بغداد، لم تكن معروفة من قبل. ولما كانت الدولتان مصر والعراق على طرفى نقيض من مشروع الشرق الأوسط قبل سنة ١٩٥٥، من ثم فإن مصر استمرت أكثر شراسة فى رفضها لحلف بغداد بعد تكوينه. فحينما جرى تفاهم بين العراق وتركيا، راحت الإدارة المصرية تدعو لعقد مؤتمر القاهرة فى ٢٢ يناير ١٩٥٥. ذلك المؤتمر الذى أصدر قرارا بعدم انضمام أى دولة عربية للميثاق العراقى التركى. وفى نفس السياق جرى اجتماع حضره الرئيس اللبنانى كميل شمعون وصلاح سالم وسفير مصر فى لبنان، اللواء عبد الحميد غالب، للاستماع للمناقشات حول حلف بغداد. أيضا تم تشكيل وفد مصرى سورى فى مارس ١٩٥٥ للذهاب إلى العراق لمناقشة الأمر مع المسئولين العراقيين. ثم ذهب وفد مصرى لبنانى لمقابلة الملك فيصل الثانى، ملك العراق، لإقناعه بالانسحاب منه غير أن نورى السعيد تمسك بموقفه. وحينما انقسم اللبنانيون إلى فريق مؤيد للانضمام لحلف بغداد، وفريق رافض له، ابتعد لبنان بسبب التدخل المصرى عن إمكانية الانضمام للحلف. خشية من مقاطعة السياحة واستثمار الأموال وإنهاء عمل أكثر من ٤٠ ألف لبنانى فى مصر[١]. وعلى هذا بدت المجاهرة المصرية لمحاصرة الحلف منذ بداية تشكيله.

ولم يقتصر الموقف المصرى على مواجهة العراق فى المناطق المحيطة به، بل تعداه للمناطق الأخرى. فحينما برزت إرهاصات تشكيل الحلف حرصت الإدارة المصرية على عدم دخول ليبيا فيه. وبرز تأثيرها فى هجوم صحيفة طرابلس الغرب فى ٢٦ يناير ١٩٥٥ للحلف العراقى التركى. وقالت بأن رأيها هو رأى الحكومة الليبية، مما أدى إلى احتجاج السفير التركى. حيث قامت الإدراة المصرية بإرسال هدية من الأسلحة إلى الجيش الليبى لزيادة تقاربها مع الملك السنوسى، وإفشال محاولات إبعاد ليبيا عنها

---

(١) عطية مساهرحمد، سامى صالح الصياد: موقف لبنان من حلف بغداد، مجلة آداب الفراهيدى، العدد ١٥، يونيو ٢٠١٣، صص ٨٠-٨٥، ٩١-٩٤.

وربطها بحلف بغداد[١].

واستدعى الرد المصرى على قيام حلف بغداد وتحركاتها السريعة لمقاومة هذا الحلف ومحاصرته، أن تلتفت بريطانيا للمسألة بقوة. وعلى الفور تابعت الإدارة البريطانية تلك التحركات بدقة. حيث ترصد رسالة السير جون جاردنر John Gardener إلى ماكميلان بتاريخ ٢٠ أبريل ١٩٥٥، اتفاقية الشراكة السورية المقترحة مع مصر والمملكة العربية السعودية. فتشير بأن الرأي العام في سوريا سيعارض إبرام اتفاق مع مصر والسعودية. وأن الدعم المقدم للاتفاق المقترح يأتى من قبل الاشتراكيين البعثيين والشيوعيين وغيرهما من العناصر اليسارية، حيث تم نشرها بشكل جيد من قبل الصحفيين. مستغلين خوف الجماهير من العدوان الإسرائيلى، وحماية سوريا من هجومها. حيث تشير بأن هدف الاتفاق الثلاثي كان إخراج سوريا من العراق، والخوف من العدوان التركي. لكن ائتلاف القوميين والاشتراكيين البعثيين كان غير قادر على تبنى سياسة واحدة نحو الاتفاق الثلاثي. ولم يتمكن القوميون والشعبيون على توحيد المعارضة المشتركة لعقد المعاهدة السورية المصرية. وكانت عناصر في الجيش قادرة على التهديد بانقلاب عسكرى لإجبار الحكومة السورية على إبرام اتفاق مع مصر على أساس أن المساعدات المصرية أمر ضروري للدفاع عن سوريا ضد إسرائيل. وحاولت المعارضة تشجيع تدخل محدود من قبل القوات العسكرية العراقية بموافقة أمريكية وبريطانية. لكنها ذكرت بأنه من المرجح أن يتم تجاهل ذلك، بناء على المشورة السلبية التي قدمها الأميريكيون للبريطانيين. وقالت بأنه من المحتمل إذا وقفت الأحزاب اليمينية معًا، ستكون قادرة على الصمود أمام ضغط الجيش، لأنه ليس من المؤكد، أن يتمكن فصيل الموالين لمصر في الجيش على تنفيذ تهديدهم في الظروف الحالية. وقدرت الموقف بأن تجري مناقشة المقترحات

---

(١) أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى أفريقيا ١٩٥١-١٩٥٨، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٣.

السورية مع الوفود المصرية والسعودية، لكنها رجحت بتدخل الجيش لإبرام معاهدة مع مصر. خاصة وأن القوميين قادرين على إنتاج نوع من الوحدة معها[١].

وبطبيعة الحال رصد أحد المؤرخين العراقيين الموقف المصرى من العراق بعد تكوين حلف بغداد، فقال بأن الرئيس عبد الناصر شن حملة متواصلة على حكومة نوري السعيد وحلف بغداد والإمبريالية. وأن إذاعة صوت العرب لعبت دورًا كبيرًا في الدعاية ضد السعيد والمشاريع التي يروج لها في المنطقة. مما اضطره نوري إلى إصدار بيان رسمي في ٦ مارس ١٩٥٥ ندد فيه بالموقف المصري وبصوت العرب. داعيا الحكومة المصرية إلى التراجع عن موقفها تجاه الحكومة العراقية، محذرًا إياها من إمكانية اتخاذ ما يراه مناسبًا للرد على هذا الموقف[٢]. ويبدو أن درجة الهجوم المصرى على نورى السعيد قد بلغت حدا كبيرا، لدرجة جعلت اسمه مصدر إزعاج لآخرين. حيث تحدثنا إحدى الوثائق المصرية فى ٢٠ مايو ١٩٥٥ عن إنزعاج نائب وزير خارجية إثيوبيا مما نشرته مجلة الثورة الأسبوعية تحت عنوان «هل يلعب هيلاسلاسى دور نورى السعيد؟». فإذا كان مجرد تشبيه هيلاسلاسى بنورى السعيد قد أزعج السلطانت الإثيوبية[٣]، فهذا يعد نجاحا للإدارة المصرية فى محاصرة حلف بغذاد والقائمين عليه.

ومن المؤكد أن الحصار المصرى لحلف بغداد لم يقتصر على الدول العربية المجاورة للعراق، حيث تشير إحدى وثائق الخارجية المصرية فى أبريل ١٩٥٦ باهتمامها بالعلاقة

---

(1) F.O.487-9, Further Correspondence Respecting Middle East (General) Part 9, January to December 1955, No.11, Proposed Syrian Agreement with Egypt and Saudi Arabia, Sir John Gardener to Mr. Macmillan. (Received April 25) (No. 55. Confidential) Damascus, April 20, 1955, p.28,29.

(٢) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، ص٢٤٨.

(٣) خطاب من القائم بالأعمال بالنيابة، إبراهيم الدسوقى إمام، بسفارة مصر بأديس أبابا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن ملاحظات الحكومة الإثيوبية على ما نشر فى الصحف المصرية أخيرًا عن جلالة الإمبراطور هيلاسلاسى، ملف٣ رقم ٢٢٥/٧/١ ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا «مختلف» ١٩٥١-١٩٥٦، فيلم ٥٠ أديس أبابا، محفظة ٧٩، أرشيف البلدان، خارجية، صص١، ٢.

بين حلف بغداد ومنطقة شمال أفريقيا[١]. وتشير أخرى بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٦ بأنها وقفت بالمرصاد ضد زيارة الدكتور فاضل الجمالى، وزير خارجية العراق، إلى ليبيا ومراكش وتونس. حيث ذكرت صراحة بأن هدف زيارته هو محاولة إقناع تلك الدول بالتكتل فى حلف جديد يكمل حلقات حلف بغداد والأحلاف الأخرى القائمة بين دول شمال البحر المتوسط[٢]. فكان وقوف مصر ضد الزيارة قد أفشل أهدافها. وحينما حاولت تركيا إقناع ليبيا بالانضمام إلى حلف بغداد أثناء زيارة عدنان مندريس رئيس الوزراء التركى، رصدت وثيقة ثالثة بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٥٦ تلك المحاولة. وتابعت فيما بعد مشروع معاهدة الصداقة الليبية التركية المقترح عقدها فى يناير ١٩٥٧، لكن ليبيا رفضت الانضمام إلى حلف بغداد خشية قيام ثورة شعبية. بل كان إعلان رئيس وزرائها فى البرلمان موقف الحياد من مصر وبغداد رغم محاولة تركيا إدخال دولته ذلك الحلف، يؤكد على قوة التأثير المصرى فى ليبيا ومحاصرة العراق وخططه غير المباشرة[٣]. وبفضل الدعاية المصرية ضد حلف بغداد، فشل العراق فى ضم أى دول عربية له. وبالتالى لم تقتنع تلك الدول بما يروجه نوري السعيد من أن الاتحاد السوفيتي لا يقل خطرا عن إسرائيل[٤].

---

(١) مذكرة إدارة الأبحاث بشأن الإيعاز للهيئات الوطنية اليونانية والقبرصية لاصدار بيان ينص على عدم السماح باستخدام القواعد البريطانية ضد الشعوب العربية، ١٤/ ٤/ ١٩٥٦، ملف ٢ رقم ٢٠٧/ ٧/ ١ ج٤ التقارير السرية للسفارة المصرية فى أثينا، محفظة ٦٣١ (كود ارشيفى ٦٣٠) سرى جديد، خارجية.

(٢) خطاب القائم بالأعمال بالنيابة أنور محمود السكرى بسفارة مصر بليبيا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن زيارة فاضل الجمالى لليبيا، طرابلس فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦، ملف١ رقم ٢٤٢/ ٧/ ١ ج٥ تقارير بنغازى السياسية، فيلم ٣٢ ليبيا، محفظة٥٠، أرشيف البلدان، خارجية، صص١، ٢.

(٣) أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى أفريقيا. المرجع السابق، ص١٣٠-١٣١. وكذلك انظر، أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى شمال أفريقيا. المرجع السابق، صص٢٩٨-٣٠٢.

(٤) محمد عزيز شكرى: الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص٤٩-٥١.

ويبدو أن الإدارة المصرية لم تكتف بالوقوف ضد حلف بغداد وفقط، بل حاولت التعرف على الأحلاف المكملة له يمينا ويسارا. وإذا كانت الإدارة قد أدركت فى وثيقة سابقة بأن حلف بغداد هو الزراع اليمنى لحلف الناتو، جاء خطاب سفارة مصر بالهند فى مارس ١٩٥٦، ليلقى الضوء عن حلف الناتو باعتباره الزراع اليمنى لحلف بغداد نفسه. حيث أشار إلى اجتماع حلف دول جنوب شرق آسيا فى كراتشى فى ٦ مارس ١٩٥٦. وبعد أن يعطينا معلومات عن حلف السياتو، وأنه تشكل منذ ١٨ شهرا فى اجتماع مانيلا، وأنه اشتركت فيه ثمانى دول؛ استراليا وفرنسا ونيوزيلندا وباكستان والفلبين وتايلاند والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، وأنه عقد أول اجتماع للحلف منذ سنة مضت فى بانكوك، يدخل فى الاجتماع الثانى فى كراتشى فى ٦ مارس ١٩٥٦ مشيرا لخطبة دلاس المؤكدة على وقوف أمريكا وراء استقلال شعوب آسيا وأفريقيا[١]. وهذا يعنى أن دعم الاستقلال أصبح هو اللغة المستقطبة لانضمام دول العالم الثالث للأحلاف. مع أن مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥، الذى شاركت فيه مصر، قد خصص بندًا مانعًا لتلك المسألة. ونتعرف من خطاب سفير مصر بطوكيو فى ١٨ مارس ١٩٥٨ على التطورات التى حدثت فى حلف جنوب شرق اسيا، وأن مجلسه التنفيذى قد اجتمع فى الفترة من ١١-١٣ مارس بحضور وزراء خارجية الدول الثمانية؛ باكستان والفلبين وتايلاند والمملكة المتحدة وفرنسا وأسترليا ونيوزيلندا وأمريكا، وجرت محاولات لتوسيع نطاقه بضم اليابان والصين الوطنية وكوريا الجنوبية. وفى هذا الإطار يعطينا خلفية عن انتقاد الاتحاد السوفيتى لهذا الاجتماع، معتبرا إياه محاولة غربية لاستبدال السياسة الاستعمارية القديمة فى جنوب شرق آسيا بوسائل جديدة. مشيرا للبيان الذى أصدرته الصين تحذر الدول الأسيوية المشاركة

---

(١) خطاب السفير مصطفى كامل بسفارة مصر بنيودلهى إلى وكيل الخارجية فى مارس ١٩٥٦، بشأن عرض لما تم فى اجتماع دول جنوب شرق آسيا بكراتشى وأثر قرار المؤتمر فى الهند، ملف ٣، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٣١، حلف تركيا – باكستان، محفظة رقم ٢٤٧ (رقم ٢٤٦ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص١-٣.

فيه، من مخالفة قرارات مؤتمر باندونج، مطالبة إياها بأن يرفضوا تدخل أمريكا فى السياسة الداخلية(١).

إلى هناك تعرفنا من الوثائق المصرية على جوانب من المواقف المصرية من حلف بغداد، غير أن الوثائق البريطانية تعطينا بعض الجوانب الأخرى التى أغفلت عنها. ولعل رسالة وفد المملكة المتحدة إلى حلف السياتو SEATO فى كانبيرا، فى ١٤ مارس ١٩٥٧، من الرسائل المهمة التى تلقى الضوء على زوايا مهمة فى الموقف المصرى، حيث تعرفنا بأن الضغط على عبد الناصر كان عقابًا على هذا الملف تحديدًا. حيث تشير لحديث مع دالاس، واستفساره من أحد المسئولين البريطانيين عن أى الطريقين ترغب حكومة المملكة المتحدة اتخاذه تجاه ناصر: الأول، استخدام كل الضغوط لإسقاطه على المدى الطويل. الثانى، استخدام الضغوط للحصول على خطة دولية مرضية لتشغيل القناة. فعبروا عن رغبتهم بسقوط ناصر، لكن لابد من إيجاد تسوية للنزاع تتفق مع المبادئ الستة المنصوص عليها من قبل مجلس الأمن، وأنهم يودون مساعدة الولايات المتحدة لهم فى هذا الأمر. فعبر دالاس بأنه لا يمكن التفكير في أي إجراءات اقتصادية جديدة، وأنه إذا لم يقبل ناصر باستمرار الإجراءات الحالية إلى أجل غير مسمى، فسيكون هناك برنامج نشط لتقليل الاعتماد على القناة. وبالتالى لابد من دفعه لاتفاق مرض، ولكن هذا سيعني نهاية ظاهرية للقيود المالية والعودة التدريجية للعلاقات الطبيعية مع مصر. خاصة وأن ناصر سيستفيد من أي ضعف في موقف المستخدمين للقناة. وأن التهديد لعمله يجب أن يكون حقيقيا وسريعا جدا، لتنكسر مقاومته العنيدة. وأنهم سيفكرون فى خطوط أنابيب بديلة وناقلات كبيرة، وأشياء أخرى. وبدا واضحا أن الولايات المتحدة سيكون عليها الأخذ بزمام المبادرة

---

(١) خطاب سفير مصر بطوكيو مصطفى يوسف إلى وكل وزير الخارجية، فى ١٨ مارس ١٩٥٨، ملف ٢، رقم ٣٨/ ٢٦/ ٣١، حلف تركيا – باكستان، محفظة رقم ٢٤٧ (رقم ٢٤٦ كود جديد) أرشيف سرى جديد، أرشيف وزارة الخارجية، صص١-٣.

والتصرف، وأنها ستنفتح على مختلف القضايا التي نشأت فى الناتو[١]. وتضيف وثيقة أخرى بانه من غير المحتمل أن يتخلى عبد الناصر عن سياسة واحدة للتعاون مع الغرب. وأنه سوف يستمر في محاولته لقيادة العرب في حملتهم الصليبية ضد إسرائيل، وفي محاولة طرد الغرب عن المصالح النفطية الاستراتيجية والتجارية. وقالت بأن الإذاعة المصرية بثت دعايتها باللغة الفارسية، ووسعت نطاقها باتجاه دول الخليج وعدن وشرق أفريقيا[٢]. بل تشير وثيقة ثالثة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٧ إلى مقتطفات من جريدة لوفيجارو الفرنسية تزعم أن الإسرائيليين ذكروا لوزير الدفاع الوطنى الفرنسى بأنهم سيهاجمون مصر في منتصف أكتوبر، وأن تلك المعلومات تم توصيلها للسير أنتوني إيدن وله في باريس يوم ١٦ أكتوبر. لكنها تنصح بألا يلتفت إلى تقارير الوكالة الصحفية، وأن مضمونها لا يختلف عما ذكره بعض الوزراء في مجلس العموم. وإذا استدعى الأمر ينبغى لفت الانتباه إلى تصريحات السير أنتوني إيدن في مجلس النواب يوم ٢٠ ديسمبر، والقول بأن الآراء المنشورة فى الصحيفة لا تعكس آراء الحكومة الفرنسية[٣]. وعلى هذا تثبت الوثائق البريطانية بأن الرفض المصرى لحلف بغداد كان أحد الأسباب الرئيسية للعدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦.

وتحت عنوان «التهديد الروسي لسوريا ومصر» أشارت وثيقة رابعة بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧ إلى أن التهديد السوفياتي للمنطقة يأتي من سببين رئيسيين: الأول، أن الهدف من الكتلة السوفيتية هو إنهاء صلات المنطقة مع الغرب، وتضييق الخناق على إمدادات النفط لهم. وأنه لتحقيق تلك السياسة السوفيتية ينبغى إنهاء القواعد الغربية والعلاقات التعاهدية في منطقة الشرق الأوسط. خاصة وأن هدفهم لم يكن الحصول

---

(1) Fo. 407-E143-236: JE 1421/174 (4) United Kingdom Delegation to SEATO Canberra to Foreign Office (No. 234. Confidential) Canberra, (Telegraphic) March 14, 1957.

(2) Fo. 407-E143-236: No., 12 EGYPT: POLITICAL SITUATION, Foreign Office to certain of Her Majesty's Representatives (No. 52 Intel. Secret) March 28, 1957.

(3) Fo. 407-E143-236: No. 13 Allegations of Her Majesty's Governements fore Knowledge of Israel's Intention to Invade Sini (1) Foreign Office to certain of Her Majesty's Representatives (No. 23 Guidance. Confidential) March 29. 1957.

على الأراضي أو إنشاء الأنظمة الشيوعية في المنطقة. ثانيا، انتشار عاطفة القومية العربية التى تمقت التغريب، وتوفر للسوفيت الرافعة الجاهزة لهم فى المنطقة. وبالتالى كان لابد من تعزيز عملية التغريب مع الشرق الأوسط. وأنه لابد من احترام الاستقلال والكرامة لجميع دول المنطقة صغيرها وكبيرها. وأن حلف بغداد يجب أن يكون الحصن الحصين لمقاومة التهديد السوفيتي فى العالم العربي، بحيث يتم تشجيع جميع الدول الصديقة للغرب على تنظيم نفسها والانضمام للحلف. وتقطع الوثيقة بأن المراكز الرئيسية للنفوذ السوفيتي فى المنطقة يتمثل في سوريا ومصر. وأنه على الرغم من محاولة السوفيت إفشال عبور النفط عبر مصر وسوريا، إلا أنها لم تنجح مع الدول المنتجة للنفط نفسها. وهذا يرجع إلى سياسة حلف بغداد فى المحافظة على هذا الأمر، لكن الحقيقة أن الكتلة السوفيتية لا تملك سوقا بديلة للنفط. وتشير الوثيقة بأن سوريا كانت ذات أهمية حيوية للغرب بسبب عبور نفط العراق، وضمان وجود اتصالات بين حلف بغداد والبحر الأبيض المتوسط. وقالت بأن تعاون النظام الحاكم فى سوريا مع الاتحاد السوفياتي ومصر يهدد مصالح الغرب الحيوية، كما أنه معادي بقوة للعراق وغيره من أعضاء حلف بغداد. ومن ثم نصحت الوثيقة بأن يكون هدفهم الرئيسي هو إقامة حكومة سورية مستقرة متعاونة مع الغرب ودول حلف بغداد، حتى وإن لم تنضم رسميًا للحلف، وربط سوريا مع العراق بأى طريقة[1].

وتشرح الوثيقة المرسلة بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧ الاعتبارات المتعارضة فى مسألتين: الأولى، المخاوف الأمريكية فى أن تتسبب تلك السياسة فى زيادة الغيرة السعودية من العراق. الثانية، سياسة تسليم سوريا للمملكة العربية السعودية لن تلقى الإشادة من قبل حلفاء بريطانيا في حلف بغداد. وبالتالي نصحت بأن تكون الخطوة الأولى في سياسة سوريا هو تأثير التقارب السعودى العراقى، بهدف أن تصبح سوريا أكثر مولاة للغرب. بل كانت بريطانيا تأمل فى تدخل أمريكا فى التقريب بين

(1) Fo. 407-E143-236: No. 17, The Russian Threat to Syria and Egypt, Foreign Office to certain of Her Majesty's Representatives (No. 68 Intel. Secret) April 15, 1957.

السعوديين والعراقيين والسوريين، حتى بغير اتحاد[١].

وبالنسبة لمصر عبد الناصر قالت بأنه لا يمكن كسبها فى حياد حقيقى عن طريق المساعدات الاقتصادية أو غيرها من الوسائل. لهذا فضلوا إقامة نظام بديل، سواء كان محايدا حقا أو كان خصما أقل كفاءة. فجغرافيا مصر في قلب العالم العربي، وامتلاكها نسبة كبيرة من المتعلمين الذين يعتبرون مصادر ثابتة للثروة، هى التى وفرت لها القيادة الثقافية والسياسية لغيرهم من العرب. لكن ما يضعف موقفها هو وجود السخط الاجتماعي والغيرة من الدول العربية المنتجة للنفط، وسخط الدول العربية من تصدير الميول الثورية لأنحاء العالم العربي. وأن هذه الروح الثورية تتجه بشكل طبيعي نحو روسيا، ولكن حتى أولئك الذين يعارضون الشيوعية داخليا يتبنون موقفا معاديا للسياسة الخارجية للغرب. ولما كان الجزء الأكبر من سكان مصر من الطبقات المهنية والتجارية، فإنهم سيرحبون بالتعاون مع الغرب على أساس من الحياد السياسي، شريطة ضخ ثروة جديدة في مصر. وقطعت الوثيقة بوجود قلق متزايد من القطيعة المتزايدة لناصر من قبل الدول العربية الأخرى، حتى في الدوائر العسكرية، كالسودان وليبيا والمملكة العربية السعودية، وأيضا من قبل الولايات المتحدة. ولما كان معظم قادة الغوغائية من الشعب، والقوات المسلحة تهيمن على الساحة السياسية، فإن سياسة التوسع كانت مصممة على الاحتفاظ بقيادتهم للعرب، واكتساب السيطرة على النفط العربي. لهذا كانوا جزئيا ولأسباب عاطفية أيضا، يفضلون سياسة القوة العسكرية ضد إسرائيل، لكنهم لا يحبذون وضعها على المحك. وهذا يعكس سياسة عبد الناصر، ولا يعكس رغبة الأغلبية، حيث لا توجد لا رغبات مدروسة أو عناصر مشتركة، تقول بوجود سياسة فى الأفق ستتبعها الحكومة المصرية. وتعترف الوثيقة بأن هدفهم هو تشكيل حكومة مصرية تكون على استعداد لعمل صفقة مع الغرب كان يرفضها عبد الناصر. ويمكن جعلها تتصرف من تلقاء نفسها، مقابل الحصول على

---

(1) Ibid.

مساعدات اقتصادية سخية[١]. وهذا يعنى أن التخلص من عبد الناصر كان أولوية أولى لدى البريطانيين حتى يستوى لهم الأمر فى الشرق الأوسط.

ويبدو أن الدعاية المصرية ضد حلف بغداد، وحصار الجهود العراقية التركية فى البلدان العربية، قد جعلت الأتراك يحاولون إصلاح ذات البين مع مصر. فتحت عنوان «التقارب التركي مع مصر» تشير إحدى الوثائق البريطانية بتاريخ الأول أغسطس ١٩٥٧ بأن الحكومة التركية قد شرعت في سياسة المصالحة مع مصر، لإزالة مواقف عبد الناصر الملتبسة حول حلف بغداد. وتعترف الوثيقة بأن التحركات التركية تتفق مع السياسة الغربية بالذهاب ببطء مع ناصر وإعطائه مساعدات بأقل قدر ممكن. وتعترف بأنها مربكة لعدة أسباب: أولها، أن مواءمة السياسة التركية نحو ناصر ينبغي أن تتوقف على وزارة الخارجية التركية. ثانيها، أن إعادة توجيه السياسة التركية تجاه مصر خضعت لضغوط معينة، بحيث يتم ضبط النفس تجاه السياسة الجديدة. ثالثها، أن تركيا ربما اكتسبت المزيد من تمديد التسهيلات الائتمانية لمصر، فكانت العديد من السلع التى تأتى لمصر تأتي من تركيا ومن الكتلة الشيوعية. لكن تشير الوثيقة لتغيير الموقف التركي تجاه مصر بسبب تبريد تعاملاتهم نحو حلف بغداد. وتشرح لنا بأن المسئولين البريطانيين هم السبب فى هذا التغيير. فقد كان لديهم اعتراض على التحركات التركية فى مصر، فقد شككوا فى ولاء بعض مسئوليهم لحلف بغداد، وقالوا بأن هناك خطورة لهذا الاتجاه في السياسة التركية، مستنكرين إبلاغ مندريس لزملاءه في الاجتماع الأخير لمجلس حلف بغداد في كراتشي من رغبة الحكومة المصرية فى إقامة مزيد من العلاقات الودية، داعيا البريطانيين للتعليق على هذا الأمر[٢]. وثمة نتائج ثلاث نخلص إليها: الأولى، أن الدعاية المصرية ضد الحلف

---

(1) Ibid.

(2) Fo. 407-E143-236: RK 10316/3 No. 34 Turkish Approchement With Egypt (1) Mr. Selwyn Lloyd to Sir James Bowker (Istanbul) (No. 68. Confidential) Foreign Office,, August I, 1957.

بلغت أوكلها، فتراجعت العراق وتدخلت بريطانيا فى الضغط على مصر. الثانية، أن الاقتراب التركى من مصر لا يدلل على خشية من الدعاية المصرية فقط، بل استثمارا للظروف القائمة، وعدم الارتماء فى حضن الغرب بصورة تجعلهم يفقدون مكانتهم فى العالم العربى. الثالثة، أن التدخل البريطانى فى صياغة علاقات دول حلف بغداد بمحيطهم الإقليمى كان قائما، فلم تسمح لتركيا بأن تستمر فى سياستها الودية مع مصر.

وتفضح لنا رسالة جيمس بوكر إلى سلوين لويد فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٧ بأن مظاهر العلاقات الودية بين الحكومة التركية ومصر، كان فى إمكانها أن تنمو وتتطور. بل يلخص تلك الإمكانية فى ثلاثة ملامح: الأول، إقامة مباراة كرة قدم مصرية تركية في اسطنبول في مايو ١٩٥٧، وحضور مسئولى الدولتين المناسبات الوطنية لكلا البلدين. الثانى، مظاهر الود الأخرى التى أبدتها الحكومة التركية تجاه نظام عبد الناصر في مصر، ووجود عملية تطبيع فى العلاقات التركية المصرية. الثالث، إعلان مندريس عن استعداده للقاء عبد الناصر في أي وقت وفي أي مكان. غير أن الوثيقة عرضت لنا وجهة النظر البريطانية فى هذا التقارب فى مثالين: الأول، حين ذكرت بأن أى زيارة لمندريس فى الوقت الحالى سيكون لها تأثير مؤسف للغاية في المملكة العربية السعودية والأردن والعراق. الأمر الذى نراه فى إجابة مندريس على إحدى الاستفسارات «بأنه لن يجرؤ على اقتراح مثل هذه الزيارة، وأن عرض مثل هذه الدعوة سيحدث تغييرًا كبيرًا فى تركيا ومسؤولياتها تجاه الدول العربية، وسيقود إلى إمكانيات تحسين علاقاتها معهم». الثانى، ما أشار إليه مستشار الولايات المتحدة زميل مندريس بأن تركيا ترغب في أن تتوافق الولايات المتحدة مع تركيا فيما يتعلق بمصر. لكن لا يمكنها فضح نفسها فيما يتعلق ببقية العالم العربي بدحض المبادرات المصرية الودية. الثالث، أنه حين تم الاقتراب التركى من تأسيس علاقات طبيعية مع مصر، ووضحت رغبة تركيا فى أن تلعب دورا خاصا ورائدا في الشرق الشرق، تم التدخل فى صياغة تلك العلاقة. فقد اعتبروا ما يحدث تغييرا مهما فى علاقتها مع الغرب منذ سياسة أتاتورك، وقبولها فيما

بعد في منظمة حلف شمال الأطلسي، واعتبارها قوة غربية مرتبطة بالأسرة الغربية، والتزامات إرادية بواسطة اتفاق بغداد. فتم تحذير تركيا من مصيرها كدولة غربية في الشرق الأوسط، وأن دخولها حلف بغداد أقصاها عن العديد من الدول العربية، وخاصة مصر، على الرغم من جهود مندريس لإصلاحها مع الأخيرة. الرابع، أن دخول تركيا فى علاقات مع مصر كان بهدف جذب بقية الدول العربية الأخرى لحلف بغداد، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل بعدم انضمام الأردن، وعدم إستجابة المملكة العربية السعودية للمبادرات المعروضة عليها. الخامس، أنه بالرغم من عدم وجود سبب لرفض تطور العلاقات التركية مع مصر، ومحاولة اظهار التقارب باستيراد بعض السلع الاستهلاكية المصرية للفوز بالانتخابات قد تساعده في الانتخابات، وشكوك زميل مندريس الأمريكى فى استمرار هذه العلاقة[1]، إلا أننا نخلص من ذلك بنتيجتين: الأولى، أنه حتى وإن كان هدف مندريس الفوز فى الانتخابات فهذا يعنى وجود مكانة كبيرة لمصر لدى الشعب التركى. الثانية، أن تخويف تركيا من التقارب مع مصر بالسعودية والأردن، بحكم الخلاف بين أنظمتها الملكية والنظام الثورى فى مصر، يعنى أن بريطانيا تلعب على استغلال كل نقطة خلاف لتأجيجها.

وتتضح صورة الدعاية المصرية ضد العراق فى المكانة التى حصل عليها عبد الناصر لدى شعوب المنطقة. وباستعرض صورته لدى شعوب المنطقة سندرك قوة التأثير المصرى فى العراق. فتحت عنوان «موقف الرئيس عبد الناصر في الشرق الأوسط» فى الأول من أكتوبر سنة ١٩٥٧ تشير إحدى المذكرات البريطانية لمكانة عبد الناصر لدى حكومات وشعوب العراق ولبنان وليبيا والمغرب والسودان وتونس والجزائر والخليج العربي وتركيا وإيران. فتقول بأنه باستثناء البحرين وتونس، قد وصلت كل التقارير. والصورة العامة هي أن ناصر مكروه من قبل حكومات البلدان العربية الأخرى، ولكنهم يترددون في الإساءة إليه بسبب قدراته العظيمة، وتأثير

(1) Fo. 407-E143-236: (2) Sir James Bowker to Mr. Selwyn Lloyd. (Received August 26) (No. 157. Confidential) British Embassy Residence, Istanbul, August 24, 1957.

الدعاية المصرية، حتى أن بعضهم يعتمد على الموظفين المصريين المدربين. لكن مكانته لدى شعوب الدول العربية لا تزال مكانة كبيرا جدا، حيث يعتبرونه رمزا للقومية العربية. وقالت بأن دعمه الرئيسى يأتى من شباب الجامعات والقوات المسلحة وسكان المناطق الحضرية الذين يعرفون القراءة والكتابة. لكن الحكومات تجد صعوبة كبيرة في ضم شعوبهم إليهم، ورفض أي سياسة لعبد الناصر علنا. وقالت بأن حكومة العراق تواجه استياء ملحوظ لموقفها من عبد الناصر، ولكنها فى السر سعيدة جدا عندما تسير الأمور تجاهه بشكل سيئ. لأنها تدرك بأن علاقاته مع الكتلة السوفيتية وأنشطته في البلدان العربية الأخرى تعمل ضد المصالح العراقية. وبالتالى هى ليست على استعداد لاتخاذ موقف لوحدها ضده. فسمعته لدى الناس كرمز للقومية العربية يجعلها تراه بطلها العظيم. لكنها تقول بأن شعبيته قد انخفضت إلى حد ما، نتيجة لسماحه بمرور السفن المتجهة إلى إسرائيل عبر القناة، وفشله في القيام بأي شيء تجاه خليج العقبة. وأيضا فإن قادة الحكومة اللبنانية الحالية لا يحبون عبد الناصر ولا يثقون به، ولكنهم أكثر ترددًا في الإساءة إليه. وغالبية المسلمين معجبون به كزعيم للقومية العربية، وبعض المسيحيين يشعرون بنفس الشعور(١).

ومضت الوثيقة تستعرض صورته فى شمال أفريقيا، تلك الدول التى حاولت تركيا والعراق ضمها لحلف بغداد، فتقول: فى ليبيا فإن الأمر ملتبس داخل الحكومة والقصر الملكى. فهناك تأثير مؤيد لمصر داخل الحاشية الملكية وبعض أفراد الحكومة. وإذا كان التأثير المصري القوى موجود بين الشعب، فإن الحكومة الليبية واعية جدا لقوة الدعاية المصرية بين الجماهير وليبيا المعتمدة على المدرسين المصريين المدربين. فالشعب، وخاصة أطفال المدارس، مستعدون دائما للتغنى بعبد الناصر. ونفس الأمر ينطبق على المغرب، فعامة الناس بتأثرون بقوة الدعاية المصرية وبالتالى يصعب على الحكومة جر الشعب لأى سياسة ترفض عبد الناصر. وبالنسبة للسودان فإن الحكومة السودانية

(1) Fo. 407-E143-236: JE 1022/51 (2) Memorandum on President Nasser's Present Standing in The Middleast, Foreign Office, October I, 1957.

ليست على استعداد للشجار مع مصر طالما أن الاستقلال والمصالح السودانية الرئيسية ليست في خطر. على الرغم من كراهية الحكومة الحالية لعبد الناصر باستثناء بعض الوزراء الاتحاديين. بالمقابل فإن أهالى السودان والطلاب وجميع الضباط الشباب يميلون لدعم ناصر. وفى الجزائر فإن تأثير عبد الناصر على الجزائريين قد تضاءل منذ تعطيل لجنة القاهرة لجبهة التحرير الوطني، باعتقال بن بيلا وتحول قادة جبهة التحرير الوطني إلى تونس. لكن يشعر الجزائريون بصفة عامة بأن مصر شقيقتهم(١).

أما فى بقية دول حلف بغداد، فتستعرض صورة الرجل داخلها، فتقول بأنه فيما يتعلق بتركيا فهناك علامات معينة للتقارب التركي المصري، وأن التحرك كان على قدم وساق لتبادل السفراء، لكنها توقفت الآن. وربما كان ذلك نتيجة الدعم الراسخ لناصر فى سوريا. لكن بشكل عام فإن الأتراك يحتقرونه باعتباره رمزا للقومية العربية، لا يروق لهم دعمه لليونان بشأن قبرص، ويثقون بأنه دمية في يد الشيوعية. خاصة وأن الرأي العام والمنظمات تتأثر لصالحه، ولكن من غير المحتمل تغيير سياسته بشأن سوريا وقبرص. أما فى إيران فيعتبرونه عدوًا لحلف بغداد وغوغائي خطير. وتنصح الوثيقة فى النهاية حكومة الشاه باستئناف العلاقات معه، ومحاولة توجيهه بعيدًا عن اليسار. لكن جموع الإيرانيين ليس لديهم مصلحة مع ناصر، مع الإقرار بوجود من هم معجبون بإنجازاته(٢). وعلى هذا الأساس فإن وقوفه ضد حلف بغداد يعنى أن هؤلاء الحكام لا يمكنهم الانضمام للحلف. من ثم بقى منذ تأسيسه سنة ١٩٥٥ وحتى انهياره سنة ١٩٥٨ مقتصرا على العراق فقط من الدول العربية. وهذا يعد نجاحا كبيرا للسياسة المصرية ضده. وفى ظل الصورة التى رسمت لعبد الناصر فى كل الدول التى حاولت العراق ضمها لحلف بغداد، كان من الصعب عزله وعزل مصر عن التأثير فى المنطقة.

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.

وبلغت قوة الدعاية المصرية ضد العراق لدرجة عزلتها عن الدول العربية. وفي محاولة لكسر تلك العزلة تشير إحدى الوثائق البريطانية إلى محاولة تحفيز الأردن وسوريا ولبنان لدخول حلف بغداد، حيث استغلت رغبة البرلمان السورى فى التمويل فى هذا الإطار. وبدرجة أقل حاولت العراق مع الدول العربية الناشئة في شمال أفريقيا؛ السودان وليبيا والمغرب وتونس، مع أنه لم يوجه الانتباه لحصار إسرائيل. وتشير الوثيقة بأت العراق فقدت فرصتها فى إقامة علاقات ودية، بسبب الدعاية اليومية الموجهه ضدها من قبل القاهرة ودمشق، وبدرجة أقل من القدس ومكة المكرمة. وكان تأميم مصر لقناة السويس قد جلب بدوره موجه من المد والجزر. حيث لحقت الأضرار المصالح السعودية بسبب إغلاق القناة، وأخطار الشيوعية المتأصلة في قبول مصر وسوريا الأسلحة السوفيتية وتدخلهما، ولا سيما مصر، في الشؤون الداخلية للدول العربية الأخرى، الأمر الذى قاد الملك سعود للبحث عن بعض الأصدقاء. وبالتالى لم يدع نوري السعيد الفرصة تمر، فذهب الملك فيصل نفسه لزيارة الملك سعود في أواخر صيف عام ١٩٥٦، وعزز هذا زيارة الملك سعود لبغداد في شهر مايو سنة ١٩٥٧. بعدها ذهب الأردن ولبنان. وهو ما جعل نورى السعيد يصرح بعدم قدرة مصر على الفطام من الكتلة السوفيتية[1]. لكن هذا، لا يعنى انضمام تلك الدول إلى حلف بغداد، فقد أفلحت الدعاية المصرية فى ضمان استمرار الرفض العربى لهذا الحلف حتى انهياره.

وتشير إحدى الوثائق بتاريخ ٤ يوليو ١٩٥٧ بتأثير التدخل الأنجلو فرنسى فى السويس على السياسة الخارجية العراقية. حيث شعرت حكومة نوري السعيد بأنها مقيدة عن دعم الحالة المصرية إلى أقصى حد. ووجدت نفسها مبعدة في الوقت نفسه بصورة متزايدة عن مصر وسوريا بسبب عنف الدعاية المصرية السورية ضدهم وضد

(1) F.O.481-11,(20974): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 11,January to December 1957, No. 7, The Achievements of Nuri Said, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received July 9, No. 176. Confidential) Bagdad, July 4, 1957, p.24.

المملكة المتحدة، حليفهم، وأضيرت مصالحها بسبب إغلاق القناة، وتفجير خط أنابيب شركة النفط العراقية من قبل الجيش السوري. وهذا ما أثر على الاقتصاد العراقى. والصراع بين هذين الاتجاهين دفع الحكومة العراقية إلى أحضان غير عربية من شركائهم في حلف بغداد. ففى الوقت الذى أدانوا فيه التدخل الأنجلو-فرنسي، سعوا للحفاظ على المشاركة البريطانية في حلف بغداد. الأمر الذى أتاح لنورى السعيد الحصول على الدعم الذي ساعده فى تجاوز الأزمة وعدم التفكير في تقديم استقالته. وهو ما مكنه من تكوين علاقات جيدة مع العالم بأسره، وحتى مع العالم العربي المعزول عنه لمدة عامين. لكنه كان يعتقد أن الحكومة المصرية إذا بقيت متشبثة بالكتلة السوفيتية، ستستعيد ما فقدته من دفعه من قلوب القوميين العرب، وهنا لن يحتاج لها العراق فقط، بل العالم الغربي ككل(١).

واستمرت الدعاية المصرية ضد العراق على أشدها، فنشرت صحيفة الشعب المصرية في ٣٠ يناير ١٩٥٧ بيانًا لدول حلف بغداد يحوى قرارات سرية، عدوا فيها تعاون بعض الأقطار العربية مع الكتلة الشرقية بمثابة قضاء مبرم على مصالح الدول الغربية في المنطقة. وأعطت الصحيفة أهمية للاقتراح العراقي بالقضاء على النظام الوطني في سوريا وحكومة سليمان النابلسي الوطنية في الأردن لعزل مصر وتعطيل دورها القيادي، متهمين فى البيان القيادتين السورية والمصرية بإحباط خطط حلف بغداد وعدوها دولا مًعادية، وبينوا بأنهم سيقفون ضد الأقطار العربية المناهضة للحلف بفضل ما أعطوه للولايات المتحدة الأمريكية من دور قيادي، وما سيقدمه الأميركان من مساعدات لحلف بغداد تمكنه من تحقيق غاياته ومراميه(٢). ومما سبق يتضح لنا أمرين: الأول، الاختراق المصرى للعراق، فكيف وصل هذا البيان السرى للقيادة المصرية. الثانى، استمرار حرب الدعاية المصرية ضد الحلف وضد العراق بكل

---

(1) Ibid., pp.25,27.

(٢) إيمان عبد الله حمود: العلاقات المصرية التركية من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٠، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، جامعة بغداد، ص١٤٨.

السبل، وبالتالى ضمان استمرار المقاومة الشعبية ضد الحلف.

وفى نفس الإطار عقد اجتماع فى القاهرة في منتصف شهر يناير ١٩٥٧، تم فيه رفض مبدأ ايزنهاور، وعدم الاعتراف بوجود فرغ فى المنطقة. وهو الاجتماع الذى يؤكد على استمرار الدعاية المصرية ضد العراق وحلف بغداد، حيث حضره الرئيس السوري شكري القوتلى والملك حسين ملك الأردن والملك سعود ملك السعودية، وعلى إثره تم رفض البلدان العربية الأربع مبدأ أيزنهاور، ولم تعترف بوجود فراغ بالشرق الأوسط، معلنين بأن القومية العربية مدعوة لملء هذا الفراغ المزعوم(١).

المحور الرابع: إختلاف المواقف المصرية من العراق بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦

اختلفت المواقف المصرية من العراق بعد حرب السويس اختلافًا بينًا، ففرقت ما بين النظام الحاكم والشعب العراقى. وكان العدوان الثلاثي الذي قامت به بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر في ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ قد أثار موجة استياء بين الأقطار العربية عموما، كان على رأسها العراق(٢). وبطبيعة الحال لم يكن العدوان على السويس، ولا قيام مصر بإبطال معاهدة سنة ١٩٥٤، وعدم اعتدادها بالمقولات البريطانية بضرورة وجودهم فى مصر(٣)، هو المحرض للشعب العراقى على رفض ما حدث فقط، بل كان إقدام عبد الناصر على تأميم قناة السويس، هو الذى جعل موقف الشعب العراقي وحكومة نوري السعيد على طرفي النقيض. حيث تشير إحدى المراجع بأن الملك العراقى فيصل ونورى السعيد كانا حاضرين فى لندن اجتماعا مع رئيس الوزراء البريطانى إيدن، حينما جاءه خبر تأميم القناة. فحين جن جنونه وطلب

---

(١) سيد محمد عبد العال: المرجع السابق، صص١٨٢-١٨٦.

(٢) إيمان عبد الله حمود: المرجع السابق، ص١٤٦.

(3) Fo. 407-E143-236: Further Correspondence Respecting, Egypt, Part 11, January to December 1957, Secret, JE 1191/1 No. 1, Egyptian Abrogation of The 1954 Suez Base Agrement (1) Sir Pierson Dixon to Mr. Selwyn Lloyd. (Received January 7)(No. 5 S. Confidential) New York, January 4, 1957.

مشورة السعيد وأجابه «اضربوا الآن.. اضربوه بشدة وإلا سيفوت الأوان، لأنه إذا ترك وشأنه فسيقضى علينا جميعا»[١]، كان هذا هو الخط الفاصل بين موقف مصر من النظام والشعب العراقى. فعلى أثر العدوان الثلاثى اتسم موقف حكومة السعيد بالتشفي من مصر وعبد الناصر، بشكل علني وصريح. وراحت الإذاعة العراقية تحاول صرف أنظار الشعب عن العدوان. بل راحت تبث الأغاني الممجوجة، التي كان التشفي ينبعث منها، مما أثار سخط الشعب العراقى واستنكاره منها ومن الحكومة المتواطئة مع العدوان. تلك الحكومة التي سخرت مطاراتها للطائرات البريطانية، ومستشفياتها لجرحى المعتدين، وضخت النفط إلى ميناء حيفا في إسرائيل لتجهيز طائرات المعتدين بالوقود وجيوشهم[٢].

وكما عرفنا من قبل بأن نوري السعيد كان في لندن حينما أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس، وأنه هو الذى حثه على ضرب مصر، برهنت الحوادث التالية أيضا بأنه كان على علم مسبق بقرار الهجوم على مصر. وعاد إلى بغداد مسرعًا، ليقوم بدوره المرسوم في دعم العدوان، وإحكام سيطرة الحكومة على الغليان الشعبي الذي اجتاح العراق من أقصاه إلى أقصاه. وما كاد العدوان الثلاثي يبدأ على مصر حتى عقد اجتماع لمجلس الوزراء في البلاط، لبحث الوضع في مصر. واعتقدت السلطة الحاكمة في بغداد أن النظام في مصر على وشك الزوال، وكانوا يتطلعون إلى الأخبار منتظرين استسلام مصر. وقد أتخذ مجلس الوزراء قرارًا بإعلان الأحكام العرفية في نوفمبر بتشكيل أربعة محاكم عسكرية، في محاولة لمنع الشعب من التحرك ضد النظام العراقى. فى حين كان الشعب العراقي برمته يغلي كالبركان، ويطالب حكومته بالوقوف إلى جانب مصر ومساعدتها في محنتها[٣]. بل انتهجت الأحزاب الوطنية، حزب

---

(١) فواز حماد محمود: العلاقات العراقية المصرية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، مارس ٢٠١٢، ص١٧٠.

(٢) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، صص٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) نفسه، صص٢٥٥- ٢٥٨.

الاستقلال والحزب الوطنى والمؤتمر الوطنى والجبهة الشعبية وغيرها، سياستها المؤيدة لمصر ضد العدوان الثلاثى، وأرسلت احتجاجات للملك العراقى وإلى إيدن والأمين العام للأمم المتحدة لإيقاف ما يجرى من انتهاكات لحقوق الشعوب. واستمرت داعمة لمصر، ضاغطة على الحكومة العراقية لبناء علاقات متطورة مع مصر. وهذا الضغط هو الذى اضطر الحكومة فيما بعد إلى تقديم دعمها لمصر، فشكرت الحكومة المصرية لها موقفها الداعم لها[١]. وقدم ٦١ أستاذًا جامعيًا مذكرة مسهبة إلى الملك، استنكروا فيها سياسة حكومة نوري السعيد المعادية لمصالح الأمة العربية. كما قدم ٣٥ شخصية سياسية ودينية ووطنية مذكرة مسهبة إلى الملك في ٢٠ نوفمبر، شرحوا فيها طعنه للأمة العربية في الصميم، داعين إياه لمعالجة الأمر قبل فوات الأوان. غير أن النظام أصرّ على السير في ركاب المستعمرين، وتحدي مشاعر الشعب. فاندفعت الجماهير لا تخشى من الحكومة ولا تعنتها. ففي بغداد اندفع أساتذة الكليات والمعاهد العالية والمدارس وطلابهم، الذين هزهم العدوان الثلاثي، وموقف حكومة نوري السعيد منه، يومي ٣، و٤ نوفمبر ١٩٥٦ في مظاهرات عارمة، متحدين الأحكام العرفية والقوات الحكومية. نتج عنها استشهاد طالبين وفتاة صغيرة، ووقوع عدد كبير من الجرحى، وتم اعتقال أعداد أخرى من الطلبة. الأمر الذى أدى إلى استمرار المظاهرات الطلابية دون توقف، وإلى انتشارها في معظم المدن العراقية. ووسط تحدي الشعب، قامت القوات القمع بإطلاق النار على المتظاهرين واشتبكت معهم فى عدة مناطق[٢].

ولعل خطاب السفارة المصرية بالرباط فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، والتى يبين فيها بأن زيارة نورى السعيد وفاضل الجمالى للمغرب كان غرضها الأساسى ضم المغرب

---

(١) فواز حماد محمود: العلاقات العراقية المصرية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الأول، مارس ٢٠١٢، صص١٧٢، ١٧٣.

(٢) حامد شريف سليمان الحمداني: نوري السعيد. المرجع السابق، صص٢٥٧-٢٦٢.

لحلف بغداد، خير مثال على وجود مسئولين عراقيين كانوا رافضين لتلك المحاولات. فغرض الزيارة للمغرب سربه أحد مسئولى السفارة العراقية فى المغرب[١]. وهذا يعنى أن الجو العام أصبح محرجا حتى على الذين يعملون داخل الجهاز الرسمى للدولة العراقية. بل إن إشارة السفير المصرى فى تونس بتاريخ ١٠ يناير ١٩٥٧ وحديثه بأن القائم بالأعمال العراقى بالنيابة هناك قد أخبره بلهجة التهكم بأن الحكومة العراقية قد طلبت منه أن يسعى فى التأثير على الحكومة التونسية حتى تنضم لحلف بغداد[٢]، يثبت بأن كثير من الشخصيات الرسمية العراقية كانت رافضة للحلف ومؤيدة للموقف المصرى الرافض له.

إلى هنا، رصدت الدراسات العراقية والوثائق المصرية اختلاف الموقف المصرى من العراق بعد حرب السويس ١٩٥٧، لكن بالنظر للوثائق البريطانية سنجد تفاصيل مهمة حول المسألة. فتحت عنوان «ردود الأفعال العراقية على الأحداث التي أعقبت الهجوم الإسرائيلي على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦» أرسل السير مايكل رايت للسيد سلوين لويد يخبره فى ٧ ديسمبر ١٩٥٦، بأنه أرسل العديد من البرقيات خلال الشهر الماضي تعبر عن موقف حكومة العراق نحو إسرائيل والأفعال الأنجلو فرنسية في منطقة قناة السويس، وإلى أي مدى أمكن الفكاك من هذا الموقف بشكل جيد تجاه الرأي العام العراقي المعادى للتدخل. حيث تعطينا الوثيقة جانبا مهما على الموقف العراقى الرسمى يخالف ما هو تناولته الدراسات من قبل. فتقول بأنه من أكثر النتائج وضوحا ليس قرار حكومة العراق من بيان طهران فى ٧ نوفمبر بقطع العلاقات

---

(١) تقرير طه الفرنوانى بسفارة مصر بالرباط، فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٦، ملف ٦ رقم ٧٤٥/ ٨١/ ٢ ج١ التقارير السياسية للسفارة المصرية فى الرباط عن مراكش، محفظة ٦٤، فيلم ٤٠ المغرب، أرشيف البلدان، خارجية.

(٢) أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى أفريقيا. المرجع السابق، ص١٣١-١٣٣. وكذلك انظر، أحمد عبد الدايم محمد حسين: مصر ومشروعات الأحلاف الدفاعية فى شمال أفريقيا. المرجع السابق، صص٢٩٨-٣٠٢.

الدبلوماسية مع فرنسا، وتجميد حلف بغداد فقط، بل فى نشرها لبيان ١٣ نوفمبر دعت فيه إلى حل إسرائيل وعودة السكان الإسرائيليين إلى الأراضي التي أتوا منها. وذكر صاحب الرسالة بأنه حتى نهاية أكتوبر كانت العلاقات بين العراق والمملكة المتحدة ربما تكون أفضل مما كانت عليه طيلة السنة. حيث استطاعت التخلص من المعارضين لها في السلطة؛ وباتفاق خاص تم تنفيذ المتطلبات الاستراتيجية البريطانية في العراق بنجاح. وكان البلدان شركاء في تحالف ودي قوى ينمو في المنطقة. وبدا أن ميثاق بغداد قد أصبح فعالًا من خلال التعاون العسكرى وعبر النتائج الاقتصادية، فالتقنيات البريطانية والمهارة مطلوبة فى المشاريع الزراعية والتجارية العراقية، حيث يرتبط العراق ببرنامج واسع للتنمية بما يعد بمستقبل سعيد(١). لكن الأمر تغير كلية فيما بعد.

وإذا كان هذا على الجانب الرسمى فإن ما ذكرته الوثيقة السابقة على الجانب الشعبى يعد مميزا أيضًا. فقدم لنا صاحب الرسالة بعض التعليقات المهمة التى لا نجدها فى أى من الدراسات العربية على تطور الرأي العام العراقي تجاه التدخل البريطانى فى قناة السويس. فحينما هاجمت القوات الإسرائيلية مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ أعطانا تصورات الشعب العراقى فى تلك اللحظة تجاه المهاجمين، وتأثير ذلك على حلف بغداد. فذكر بأن الجمهور العراقي كان يعتقد بأن الإسرائيليين قد تشاوروا مع حليفهم البريطانى وصديقهم الفرنسى. فاعتبروا بأن هذا يعد مخالفة لمقررات إعلان الثلاثية لعام ١٩٥٠ تلك التى وضعت آلية أبطأ تتحرك من خلالها الأمم المتحدة للدفاع عن مصر ضد العدوان. واعتبروا أن ما حدث كان اختبارا لذلك الاعلان. مشيرا بأن العراقيين اعتبروا الهجوم الإسرائيلي أكثر من كونه توغلا فى

(1) F.O.481-10 (20225): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 10,January to December 1956, No. 12,Iraqi reactions to events following the Israeli attack on Egypt on October 29, 1956, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received December 11). No. 298. Confidential, Bagdad, December 7, 1956, p.27.

الأراضي العربية التي كبلتها معاهدة الهدنة تحت رعاية الأمم المتحدة. وأن الذعر الذى حدث للشعب العراقى قد تمثل فى سماعه للإنذار الأنجلو فرنسى لكلا الطرفين. فاعتبروا بأن هبوط القوات البريطانية والفرنسية في مصر لم يكن لمعاونة الجيش المصري ضد التدخل الإسرائيلي فى أراضيهم، ولكنهم عاملوا المصريين كأعداء وحرموهم من حقهم الأصيل فى الدفاع عن أنفسهم. وأن حجج البريطانيين بأن إعلان الثلاثية لا ينطبق على مصر، لأن كلا من مصر وإسرائيل قد اعترف به باعتباره مدافعا عنهم(١).

وكان الانزعاج الشعبى العراقى من مساواة بريطانيا بين الطرفين، وبأنها استخدمت حق النقض الفيتو ضد القرار الذي عرضه مجلس الأمن بإدانة الهجوم الإسرائيلى على مصر. حيث اقترح تدابير ضد إسرائيل ما لم توقف إطلاق النار وتسحب قواتها. وكان الافتراض بأن بريطانيا والولايات المتحدة من أقوى المؤيدين لإسرائيل، في حين بريطانيا ملزمة بمعاهدات التحالف مع العراق والأردن، وكان عليها على الأقل أن تكون أكثر تعاطفًا مع مصالح العرب. وكانت الصدمة شديدة بتصويت الاتحاد السوفياتي لصالح القرار، فزاد من أسهمهم على حساب الغرب. وختمت الوثيقة بنصح صانع القرار البريطانى، بأنه على الرغم من ذلك، لا يزال الشعب العراقى يتوقع بأن تقوم القوات البريطانية بدورها في وقف إطلاق النار، وتعمل على فتح قناة السويس، وتأمين إنسحاب القوات الإسرائيلية وراء خطوط الهدنة. وإذا ما اتخذت بريطانيا أي خطوة ضد القوات الإسرائيلية سيكون رد الفعل العراقى إيجابيا، وسيتم فهم دوافعهم، لكنه يتأسف على أن بلاده مضت فى اتخاذ الإجراءات المسلحة ضد مصر(٢).

وتأتى إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٥٦ لتقدم لنا قناعات الشعب

---

(1) Ibid.
(2) Ibid.

العراقى فى خمس قناعات مهمة: الأولى، أن التدخل البريطانى كان جزءا من مؤامرة مع فرنسا وإسرائيل. الثانى، يعتقد معظم الناس أن القوات المصرية بعد الصدمة الأولية للهجوم الإسرائيلي منعت من رد الاعتداء بعد تدمير قوة الطيران المصري. الثالثة، كانوا ينظرون للتدخل المسلح البريطانى في مصر على أنه محاولة لعودة الاستعمار البريطانى مرة أخرى على عكس نظيرتها الفرنسية. الرابعة، كان الجمهور العراقي غير مهيأ تماما لسماع أي حجج تبرر تدخل الحلفاء، حيث كشفت حرب السويس بأن بريطانيا هى عدو للعرب وصديق لإسرائيل. الخامسة، أن مخزون الشعب العراقى عن الرئيس ناصر لا يزال يراه بطلا وضحية. وأن الضربة جاءته من أنتوني إيدن الذى يدعى أنه صديق الشعوب العربية. وأن الدعاية البريطانية كانت غير فعالة لإبعاد الناس عن هذا الاعتقاد(١).

وتشرح لنا الوثيقة السابقة كيفية تغيير صورة الروس بشكل أفضل لدى العراقيين. فتقول بأن بداية الحرب قد سببت كراهية العراقيين لحليفهم البريطانى، وأعطت الاتحاد السوفياتي الفرصة لتعزيز مكانته واستعادة حركته في العراق. فلفترة طويلة استمرت الدعاية للمساعدات السوفيتية لمصر، وعن توريدهم الأسلحة إليها. بل رسمت صورة روسيا الداعمة للعرب في نزاعهم مع إسرائيل. وهو ما جعل الناس فى العراق يتساءلون عندما تم الهجوم الإسرائيلي، وأعقبه هجوم الحلفاء على مصر: «أين الروس؟ ماذا سيفعلون؟ لماذا لا يساعدون أصدقائهم؟». حيث انتشرت الأحاديث بينهم بأن الأسطول السوفيتي قد مر من خلال مضيق الدردنيل، وأن الطائرات السوفيتية تقصف قبرص، إلا أن ذلك أدى فى وقت لاحق إلى خيبة الأمل. فعدم مساعدة عبد الناصر أدت إلى تقليل هيبة الروس ومكانتهم. لكن مع إنذار بولجانيين Bulganin مصاحبا للتهديد الروسى بالهجوم الصاروخى، مع مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة، تحول الموقف السوفييتي شيئا فشيئا داخل العالم العربى. ولهذا

---

(1) Ibid., p.28.

تتحدث الوثيقة عن الدعاية بتوريد السلع الروسية لمصر وسوريا، وبأنها ساهمت فى تقوية الموقف الروسى، مقابل ضعف الموقف البريطانى بعد نزولهم بورسعيد، وفشلهم فى مساعدة أصدقائهم في الشرق الأوسط بنفس حجم مساعدات الروس(١).

ومثلما قدمت لنا الوثيقة صورة الروس لدى الشعب العراقى، قدمت لنا صورة الأمريكان فى نظرهم أيضا. فقالت بأن الموقف الأمريكي فى الموضوع المصرى قد أثار حفيظة الناس ضد البريطانيين. حيث نشرت خدمة المعلومات الأمريكية في بغداد وثيقة تحتوي على مقتطفات من الصحافة الأمريكية، وهى معارضة للعدوان الثلاثى، وبالتالى أصبح لديهم جمهور عراقى يُسمِى موقفهم «بالموقف الأمريكي النبيل»، معتبرينه آخر المظاهر الاستعمارية للإنجليز والفرنسيين. لكن الحكومة العراقية انتقدت الموقف الأمريكى مع أنها ستكون سعيدة لرؤية نهاية ناصر. وأثار موقف ممثلو الولايات المتحدة نحو الحلفاء الغربيين بفشل سفارة الولايات المتحدة، بأن تكون ممثلة لفرنسا بعد رحيل السفير الفرنسي وموظفيه. حيث قرأ بعض عناصر الشعب العراقى الموقف الأمريكي بأنه لتعزيز مكانتها فى المنطقة، واعتبرهم البعض بأنهم مجرد هواة غير ناضجين، متغيروا العواطف والميول. وعبر البعض بأنهم جاءوا فقط ليحلوا محل الغرب فى المنطقة، وأنه أمر متفق عليه بحجة أنه لا ينبغي شغل الفراغ من قبل روسيا. لكن الموقف العاطفى سرعان ما سيتغير ضد الأمريكان على مشكلة فلسطين، بسبب موقفها المؤيد لإسرائيل. وأنه غير مسموح لأنصارهم بالحديث، فالطابع الاستعمارى سيضعف مكانتهم في العالم(٢).

واستكملت الوثيقة تأثير العدوان الثلاثى على الشعب العرافى، فعرضت قيام فئات مختلفة بمشاكل خمسة: أولها، كانت هناك مشاكل قام بها التجار والعمال العراقيين

---

(1) Ibid., p.29.
(2) Ibid., p.29.

والطلاب. ففيما يتعلق بالمدارس الثانوية والتعليم العالي على سبيل المثال قالت بأن المدارس لا تزال مغلقة، وإن إعادة فتحها يمثل خطورة أمنية كبيرة. ثانيها، حدثت مشاكل في بغداد والبصرة والنجف والموصل. فكانت النجف مضطربة، وفي الموصل تم استدعاء الجيش على التدخل. حيث تعامل وزير الداخلية سعيد قزاز بنجاح كبير مع المظاهرات. وقالت بأن الشعور العام خلال النصف الأول من نوفمبر كان عفويا وعاطفيا فى مقاومة العدوان، وضد القوات البريطانية والعراقية بشكل خاص. وقالت بأن الاضطرابات في بغداد والموصل والنجف لم تكن موجهة ضد الحكومة بقدر ما هى موجهة ضد البريطانيين. ثالثها، استغل السياسيون الوضع سعيا وراء أهدافهم الخاصة، واعلنوا أن استمرار الدعم الحكومى لبريطانيا وحلف بغداد يمثل خيانة عظمى ضد الأمة العربية. رابعها، أن إثارة تعاطف الشعب العراقى كان للتبرؤ من عمل الحكومة السورية وجيشها من تفجير خط أنابيب شركة نفط العراق. بل إن غرس الغضب لدى النظام السورى في موقفه من مقاومة العراق قد تراكم في سوريا. فظل معظم السكان تحت تأثير السحر الناصرى، الذى يرى أن كل المصائب كانت للانتقام من الحكومة العراقية، بما يعنى وجود أزمة ثقة. خامسها، جاء تدهور الثقة بين المجتمع العراقي على كل المستويات، بداية من ولي العهد إلى بقية الأطراف الحاكمة[1].

لهذا نصحت الوثيقة، كخطوة أولى لاستعادة ثقة العراقيين فى بريطانيا، بإجراءات ثمانية: أولها، أن تثبت بريطانيا للشعب العراقى بأنه ليس لديها نية لدعم إسرائيل بشأن قضية فلسطين على حساب العرب. ثانيها، أن تذهب بريطانيا إلى أبعد مدى في معارضة إسرائيل لتثبيت هذه النقطة. ثالثها، أنه في وسع بريطانيا لاستعادة ثقة الحكومة والجيش، وبالتالى استعادة السكان، تقديم المساعدة فى حل مشاكل تسليحهم، لاسيما توفير طائرات هنتر. رابعها، أن بريطانيا تمتلك طرق أخرى من

(1) Ibid., pp.29, 30.

خلالها يمكن المساعدة فى تطوير السياسة العراقية في الداخل والخارج، ولا ينبغي التفريط فى تلك الفرصة. خامسها، أن حلف بغداد يوفر إطارا ممتازا، كونه يوفر للمشاركين فيه فوائد عديدة دون الشعور بالحرج فى الظهور بمظهر الدولة المقدمة للرشاوى المباشرة. سادسها، أن تقديم مساهمة كبيرة على النحو الموصى به من قبل السفير البريطانى في طهران، وبموجب العلاقات الشخصية للخبراء البريطانيين في العراق، ورجال الأعمال البريطانيين مع عملائهم، والمعلمون مع طلابهم، يمكن لبريطانيا أن تنجو من العاصفة، وتتمكن من استعادة الثقة. سابعها، أنه على الرغم من معاناة الاقتصاد العراقي نتيجة لانقطاع خط أنابيب النفط، فيجب أن تكون سياستهم تشجيع رجال الأعمال البريطانيين للحفاظ على مصالحهم في العراق وتمديد اتصالاتهم بها. ثامنها، أن يستمر المجلس الثقافي البريطاني في تقديم المنح الدراسية ومساعدة جميع العراقيين الذين يزورون المملكة المتحدة لأغراض الثقافية. لكن الوثيقة تعترف بوجود صعوبة فى تقديم هذا الدعم رغم مفاخرة المسئولين بوجود نورى السعيد كداعم لسياستهم على رأس السلطة، وتعترف بوجود مبالغة فى هذا التصور. فتشرح بأن الرجل وضعوه فى موقف الشخص الذى لا يطاق. وهو الأمر الذى يمثل صعوبة للبريطانيين مع زيادة الاستياء الشعبى وتهرب البعض من مقالبلتهم. وأنهم يجب أن يستعيدوا الثقة فى الساسة الأصغر سنا، لأنه من المحتمل أنهم سيخلفونه فى الحكم. وبالتالى نصحت بوجوب تحديد السياسة البريطانيا مع طموحات العراق في العالم بأسره وفي العالم العربي. واضعين فى الاعتبار موقع بريطانيا فى العلاقات السياسية مع هذا البلد، وفى حماية المصالح البريطانية وعلى رأسها البترول، وأنه لابد من بذل جهد كبير وطويل لاستعادة زمام الأمر(١).

المحور الخامس: أثر الموقف المصرى فى قيام ثورة العراق ١٩٥٨ وسقوط حلف بغداد

عرفنا من قبل بأن الشعب العراقي كان في مقدمة الشعوب العربية التي هبت في

---

(1) Ibid.

تظاهراتها الواسعة استنكارًا للعدوان الثلاثى فى حرب السويس ١٩٥٦. غير أن السلطة الحاكمة في بغداد بقيادة نوري السعيد، وقفت فى موقف مغاير لمشاعر الشعب العراقي، ومشاعر الأخوة العربية تمامًا. فكانت إذاعة بغداد تذيع الأغاني الممجوجة التي كانت تعبر عن التشفي بعبد الناصر. ولم تكتفِ السلطة الحاكمة بذلك، بل تصدت بعنف للتظاهرات الشعبية المؤيدة لمصر، مستخدمة كل وسائل القمع ضدها، مما أدى إلى استشهاد العديد من المواطنين، وجرح الكثيرين واعتقالهم. وبطبيعة الحال فإن موقف السلطة العراقية من حرب السويس هو الذى مثل استفزازًا لمشاعر الشعب وقواه الوطنية، وبالتالى أثار لديهم العزم والتصميم على تخليص بلدهم من تلك الزمرة المعادية لمصالح العراق والأمة العربية. كما كان دافعًا للعناصر الوطنية، ومحركا لصفوف الجيش العراقي للتحرك بهذا الاتجاه. حيث توسع نشاط هؤلاء الضباط الوطنيين، وتوسعت الخلايا التي شكلوها تحت قيادة اللجنة العليا لحركة الضباط الأحرار التي قادت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بنجاح(١).

ونتعرف من الوثائق البريطانية على بعض التفاصيل المهمة عن الدور الذى لعبته مصر فى إسقاط النظام الملكى وإقامة النظام الجمهورى. فتحت عنوان «إنجازات نوري السعيد» أرسل السير مايكل رايت للسيد سلوين لويد برقية فى ٤ يوليو ١٩٥٧، يشير فيها إلى أن الملك فيصل كان قد قبل استقالة حكومة نوري سعيد، وطلب من علي جودت تشكيل حكومة جديدة. ولعل استعراض الوثيقة للإنجازات التى حققتها حكومة نورى السعيد، سندرك بأن تلك الإنجازات كانت هى السبب الحقيقى فى الثورة(٢).

---

(١) فكان قيام اللجنة العليا لحركة الضباط الأحرار في عام ١٩٥٦ وجبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧، بحيث كان اللقاء ثم التنسيق بينهما العامل الحاسم في انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨. للمزيد انظر، حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز، فيشون ميديا - السويد، ٢٠٠٦، صص١٦-٦٥.

(2) F.O.481-11, (20974): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 11 January to December 1957, No. 7, The achievements of Nuri Said, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received July 9, No. 176. Confidential) Bagdad, July 4, 1957, p.23.

وإذا ما عرفنا بأن أهم هدف لثورة ١٩٥٨ هو إقامة أفضل الروابط مع الدول العربية المتحررة، وعلى رأسها مصر، في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وصولا لتحقيق أفضل ارتباط مع مصر بالخروج من حلف بغداد، وإتباع سياسة الحياد الإيجابي، سندرك الدور الذى لعبته مصر فى إحداث هذا التغيير. وإذا عرفنا بأن عبد السلام عارف كان يرى في عبد الناصر مثله الأعلى، حيث كان يركز في كل خطاباته على شخصيته، وكان يدعو إلى إقامة وحدة فورية مع الجمهورية العربية المتحدة، لأدركنا هذا الدور جيدًا وعرفنا أبعاده. وإذا علمنا أن الضباط العراقيين هم الذين أرسلوا صديق شنشل إلى القاهرة للالتقاء بالرئيس عبد الناصر، والتباحث معه حول ما يمكن أن يقدمه من دعم وإسناد للثورة، حيث وعده عبد الناصر بتقديم كل دعم ممكن، ستتأكد أكثر فأكثر من هذا الدور. وفى هذا الإطار تحدث عبد الناصر مع السفير السوفيتي حول ما يمكن أن يقدمه الاتحاد السوفيتي من دعم لأي تحرك في العراق، فجاء الرد بالإيجاب مبديًا استعداده لمنع أي اعتداء على العراق، في حالة قيام الثورة. فحين استطاع عبد الكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر، والعقيد عبد السلام عارف، والعقيد عبد اللطيف الدراجي، آمري الفوجين الثاني والثالث من اللواء العشرين، وهم من قادة اللجنة العليا للضباط الأحرار، تحريك قواتهم من جلولاء ليلة ١٣/ ١٤ يوليو ١٩٥٨م نحو الأردن، ووجهوا الضربة القاضية للنظام الملكي وللإمبريالية، وتوافق معه إعلان الرئيس عبد الناصر اعترافه بالجمهورية العراقية الوليدة فورًا، وتحذيره من أن أي اعتداء عليها سوف يعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة نفسها، واضعًا كل الاستعدادات للدفاع عن ثورة العراق، لاتضح لنا هذا الدور وتأكدت ملامحه. فحينما كان يقوم الرجل بزيارة رسمية ليوغوسلافيا وسمع بنبأ قيام الثورة وهو فى طريقه إلى موسكو، اجتمع على الفور برئيس الوزراء السوفيتي، نيكيتا خرشوف، طالبًا منه الوقوف إلى جانب الثورة العراقية، ومنع الأمريكيين والبريطانيين وحلفائهم في حلف بغداد من محاولة الاعتداء على العراق وإجهاض الثورة الوليدة، الأمر الذى جعل روسيا تعترف بالحكومة التي شكلتها

الثورة، بعد يوم واحد من قيامها[١].

وفى هذا الإطار نتعرف من إحدى الوثائق البريطانية على إشارات مختلفة عن تلك الفترة وهذا الدور. فتحت عنوان «الوضع في العراق» كتب السيد كروفورد للسيد سلولين لويد فى ٩ سبتمبر ١٩٥٨ بأنه لا أحد يعرف ما هو القادم؟ أو كيف سيتم تنفيذه؟ ولكنه يعتقد بثقة أن أي تغيير لا بد أن يتمثل في مقاومة الغرب الاتجاه المؤيد لعبد الناصر. وإذا لم يحدث هذا فمن المشكوك فيه أن يحدث تغيير إلا من خلال الاضطراب في الجيش، وهذا ليس مستحيلًا. ففي بغداد يسود جو من التكهنات يجب أن يكون أعضاء الحكومة على علم بها، غير أن الجو العام يعزز عدم القدرة الواضحة للحكومة لاتخاذ القرارات الكبرى في مجال السياسة الخارجية، لأنه سيكون قرارا غير شعبيًا. وقالت الوثيقة بأن تنظيم حلف بغداد أو إعادة تنشيط سلاح الجو الملكي وتنظيمه في الحبانية، تكشف عن وجود مؤامرات حقيقية أو وهمية هدفها تطهير البلاد من أنصار النظام القديم. ولن تختلف التطورات التى ستحدث فى العراق عن تلك التي وقعت في مصر بعد الثورة، فهناك توسيع فى شبكة المخبرين، واعتقالات وترهيب السكان فى منتصف الليل، وبهذه الطرق سيكون النظام غير قادر على ترسيخ نفسه بالخوف لفترة. وإذا لم يحدث أى إتجاه إيجابي فى البلاد، ويأتى بشخص آخر يظن أنه يستطيع أن يقوم بدور أفضل، فربما يتصرف ضابط جيش آخر مع، أو من دون، دعم العقيد ناصر. لكن من وجهة نظر صاحب الوثيقة أن التغيير سيكون للأسوأ[٢]. وفى هذا الإطار تعترف الوثيقة بتحركات مصرية واضحة فى العراق، وتقول بوجود أصابع لعبد الناصر داخل الجيش.

ويتأكد الدور المصرى بقوة عبر وثيقة أخرى، فتحت عنوان «الوضع الحالي في

---

(١) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز. المرجع السابق، صص٦٤، ٦٥، ٧٣، ٨١، ٩٤، ١٠٦، ١٠٧.

(2) F.O.481-12, (21556): Further Correspondence Respecting Iraq, Part 12 ,January to December 1958,No. 17, The situation in Iraq, Mr. Crawford to Mr. Selwyn Lloyd. (Received September II) (No. 144. Confidential) Baghdad, September 9, 1958, p.56.

العراق والنظرة المستقبلية»، أرسل السير مايكل رايت للسيد سلوين لويد برقية فى ٣٠ سبتمبر ١٩٥٨ يخبره فيها بأنه ليس هناك شك في أن الجيش سيعتزم السيطرة على البلاد والحفاظ عليها. وأن النقاش يجري لتشكيل مجلس ثوري سيتم اختياره من ثلاثة أفراد من الجيش، ومن رجال الدولة ومجلس الوزراء؛ قياسا على مجلس قيادة الثورة في مصر. ووفقا للمعلومات المتاحة، سيكون المجلس الجديد عبارة عن هيئة حكومية تصنع السياسات، وتتكون من حوالي عشرة أعضاء، كلهم أو معظم من الجيش. أما مجلس الوزراء ففي الغالب سيكون من المدنيين، وسيكون مسؤولا عن تنفيذ السياسة التي وضعها المجلس الثوري. وداخل الجيش تتعزز القيادة لعميد عبد الكريم قاسم، على الرغم من بعض الانتقادات الموجهه لمحسوبيته لبعض القائمين على الحكم ممن قامت عليهم الثورة. وتشير إلى تاكيده على الحد من صلاحيات نائبه العقيد عبد السلام عارف، وتقييد أنشطته الخطابية. والمتداول في بغداد قصص مختلفة عن طبيعة المواجهة بين الرجلين، بعضها مثير ومبالغ فيه بشكل واضح، لكن كان هناك إضعاف للعقيد. مع ذلك ظل متحدثا ويعد الأكثر نفوذا من بين أولئك الذين يفضلون اتحاد فوري مع الجمهورية العربية المتحدة. وفي الوقت نفسه هناك مناقشات تجري على التعيينات المتوقعة فى المجلس الثورى. خاصة وأن العديد من صغار الضباط هم الذين أيدوا خطة الثورة وشاركوا فيها، وكانوا مرتاحين للمكافآت الخاصة بهم، ولهذا كانوا يدعون بأن الحكومة لم تحظ بقاعدة شعبيه عريضة[1]. وعلى هذا اتبعت الثورة العراقية نفس خطوات الثورة المصرية، وبشكل مباشر وغير مباشر سارت على نفس المنوال.

ويبدو أن كل من بريطانيا ومصر قد صادفها النجاح فى مخططاتهما ضد بعضهما البعض فى نفس التوقيت. فتحقق لبريطانيا إبعاد مصر عن تحالفاتها العربية الثنائية السابقة، وتحقق لمصر انهيار حلف بغداد أيضا. وما قالت به الوثائق البريطانية تؤكده

(1) F.O.481-12, (21556): Op.Cit., No. 18, The present situation in Iraq and future outlook, Sir Michael Wright to Mr. Selwyn Lloyd. (Received October 2) (No. 151. Confidential) Baghdad,, September 30, 1958, p.57.

الوثائق المصرية فى هذا الأمر. فبعد الرفض المصرى لمبدأ إيزنهاور والهجوم عليه صراحة فى المؤتمر الإفريقى الأسيوى المعقود فى القاهرة أواخر سنة ١٩٥٧ وبداية سنة ١٩٥٨، اعتبرت الولايات المتحدة أنها تواجه خطرين ؛ الخطر الشيوعى والخطر الناصرى، فشرعت فى إحداث تنافس بين السعودية ومصر عن طريق عقد المؤتمر الإسلامى واستغلال المكانة الدينية للسعودية كأداة لمواجهة الشيوعية، وإحداث تقارب فيما سمى بحلف الملوك، راح يصب جام غضبه على مصر(١) فتم تكوين ما سمى بحلف البحر الأحمر(٢)، وهو الذى أفلح فى ضرب التوافق المصرى السعودى حول مواجهة حلف بغداد. لكن حلف بغداد كان فى طريقه للانهيار عقب إعلان الوحدة المصرية مع سوريا، وقيام الثورة العراقية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨(٣). فكان هذين الحدثين قد أجهزا عليه بالضربة القاضية. وبالتالى سقط حلف بغداد منذُ اليوم الأول لقيام الثورة، ولم يشترك العراق في أي اجتماع لذلك الحلف بعد هذا التاريخ. حيث قررت الحكومة الثورية في ٢٤ مارس سنة ١٩٥٩ الخروج من الحلف بصورة رسمية، وقام وزير الخارجية العراقى بإبلاغ سفراء بريطانيا وتركيا وإيران والباكستان بقرار العراق بالانسحاب من الحلف، وتحرير العراق من أي قيد أو معاهدة تمس سيادته

---

(١) كانت خطة مشروع ايزنهاور هى تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية للدول العربية قبلتها ليبيا ولبنان والعراق ورفضها عبدالناصر، أما بالنسبة لحلف الملوك فيضم ملك السعودية وليبيا والمغرب والعراق والأردن، للمزيد انظر، عبد الرؤوف أحمد عمرو: تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩–١٩٦٣، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١، صص ٤٤٠–٤٥٠.

(٢) عبد الحميد عبد الجليل شلبى: مصر فى العلاقات العراقية السودانية ١٩٥٥–١٩٥٨ «دراسة وثائقية»، مصر الحديثة، العدد الأول، مركز تاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٢٢٠-٢٢٢.

(٣) خطاب من عثمان توفيق سفير الجمهورية العربية المتحدة بأديس أبابا إلى السيد السفير وكيل الخارجية عن رد فعل أحداث الشرق الأوسط فى الصحافة الإثيوبية والرأى العام الإثيوبى، فى ٢١ يوليو ١٩٥٨، ملف ١ رقم ١٠٣٧/ ٣٠٠/ ٥ ج١ أحداث الشرق الأوسط ١٩٥٨، محفظة ٧٥، فيلم ٤٨ الشرق الأوسط، أرشيف البلدان، خارجية.

واستقلاله، وأن هذا القرار يعبر عن رغبة الشعب العراقي في التخلص من كل أشكال الهيمنة الإمبريالية. وبذلك أصبح حلف بغداد بدون بغداد، واضطر القائمون عليه إلى تغير اسمه إلى منظمة المعاهدة المركزية[١].

خاتمـة

بعد دراسة الموضوع دراسة مستفيضة خرج الباحث بعدة نتائج:

● أوضحت الدراسة بأنه بالرغم من قدم العلاقات المصرية العراقية وقوتها واستمراريتها، إلا أن البلدين كانا على طرفى نقيض من مشروع الشرق الأوسط، المعروض من بريطانيا لاستخدام المنطقة كنقطة مواجهة ضد الاتحاد السوفيتى منذ أواخر الأربعينيات. فما قبلت به العراق فى ذلك الوقت رفضته مصر رفضًا باتًا. وقالت بأن ذات النهج فى الرفض ورثته ثورة يوليو ١٩٥٢ واستمرت فيه حتى قيام حلف بغداد سنة ١٩٥٥. وأن الرفض المصرى لهذا المشروع منذ تقديمه وحتى قيام الحلف شكل ضغطا كبيرا على السلطات الحاكمة فى العراق بسبب التأثير المصرى على العراقيين.

● بينت الدراسة بأن تكوين حلف بغداد فى فبراير ١٩٥٥ كان سببًا رئيسيًا فى انقسام العالم العربى حول تشكيله والانضمام إليه. غير أن الرفض المصرى القاطع والسريع له، تسبب فى بقاء العراق معزولا عن بقية المنطقة. حيث نجحت الإدارة المصرية فى حصار العراق فى كل المناطق العربية التى حاول استقطابها للدخول فى الحلف. فأفشل مساعها فى محيطها الإقليمى، وفى شمال أفريقيا. وقالت بأن الإدارة البريطانية كانت مدركة لقوة الدور المصرى فى العراق قبل تكوين حلف بغداد وبعده، وبالتالى رصدت مواقفها المختلفة من العراق بصورة كاشفة ودقيقة. بل استمرت هذه

---

(١) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز. المرجع السابق، ص١٢٥.

المتابعة حتى بعد سقوط حلف بغداد سنة ١٩٥٨.

● أوضحت الدراسة بأن قراءة الوثائق البريطانية للموقف المصرى من العراق بعد تكوين حلف بغداد كانت جيدة ومستمرة، ونتيجة هذه القراءة يمكن اختزالها فى أربع: أولها، أن الرصيد الشعبى لمصر داخل العراق كان يتصاعد يومًا بعد يوم بعد تشكيل الحلف، وأن الرفض المصرى للحلف هو السبب الرئيسى فى هذا التصاعد. ثانيها، أن البريطانيين وقفوا وراء العراق فى محاولات الاستقطاب التى جرت فى سوريا ولبنان والأردن. غير أن اعترافها بالحصار المصرى للعراق داخل تلك الدول أجهض كل الجهود المبذولة لانجاح هذا الاستقطاب. ثالثها، أن الشعبية التى حظيت بها مصر وزعيمها فى العالم العربى، قد أزعجت الإدارة البريطانية والعراقية فعملت على وضع الكثير من العراقيل أمام مصر فى مختلف المجالات. لكنها أوضحت قدرة الإدارة المصرية على التعامل مع الموقف بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦. لدرجة جعلت الأتراك يعملون على التقارب مع مصر، وجعلت الأنظمة العربية تخشى منن تأثير النظام المصرى على شعوبها. رابعها، أن اجتماعات حلف بغداد بلجانه المختلفة كانت وسيلة مهمة للتقارب العراقى مع بقية الدول المشاركة فيه، وفرصة لتبادل وجهات النظر حول الموقف المصرى.

● أوضحت الدراسة بأن الدعاية المصرية ضد العراق وحلف بغداد، كانت على أشدها قبل حرب السويس وبعدها. غير أنها تصاعدت عقب العدوان الثلاثى حتى جعلت الموقف العراقى يتغير مؤيدًا لمصر فى الظاهر، ومعاديًا لها من تحت السطح، خشية زيادة الانتقاد الشعبى ضد نظامها. وما قالت به الوثائق من أن المسئولين البريطانيين كانوا يعملون على إقامة نظام بديل فى مصر، لم تتح الفرصة لتنفيذه على أرض الواقع. ففى نفس الوقت كانت الإدارة المصرية تعمل على إسقاط الحكم الملكى فى العراق، ودعم ضباط الجيش للقيام بثورة ضده، فكانت الثورة وانهار الحلف.